المقارن

في سبيل توحيد تدريس مناهج الأدب

بقلم : البشير بن سلامة

انتظمت فى تونس أيـام 13 ـ 14 ـ 15 فيفرى 1981 ندوة حول « منـاهج تدريس الادب فى الوطن العربى » وهى ندوة أعدتها الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بالتعاون مع اتحاد الكتاب التونسيين تنسيقا وتنظيما. وشارك فيها ثلة من الاساتذة الباحثين من فلسطين والمغرب والجزائر والعراق ولبنان والاردن والبحرين وليبيا وتونس .

واشتملت هذه الندوة على المحاور الثلاثة التالية :

1) مادة الأدب العربى كما هى فى واقعها وكما ينبغى أن تكون .

2) منهج من أجل التذوق والابداع أم من أجل تتبع تاريخى للادب ؟

3) منهج تدريس الأدب فى ضوء غاياته الوظيفية وأهدافه .

واذا كانت هذه الندوة ، على خطورتها ، لم تلق العناية الجديرة بها اعلاميا

واذا كانت هذه الندوة ، على خطورتا ، لم تلق العناية الجديرة بها إعلاميا فانها يمكن أن تعد منطلقا مهما بالنسبة الى موضوع شائك يعسر الاتفاق فيه نظرا الى اختلاف البرامج وتعدد الطرق فى البلدان العربية . وليس كافيا أن تصدر توصيات مهما كانت شرعيتها وعمق تحليلها اذ ذلك فى الواقع منـاط قبل كل شيء بعهدة وزراء التربية الذين هـم يصطدمون فى أكثـر الأحيـان بتقاليد وتجارب لها مساس بواقع بلدانهم .

وإن طموح هذه الندوة فى توحيد مناهج تدريس الأدب بارز فى التوصيات السبع التى يكون من الفائدة سردها بالتفصيل ليتسنى التعليق عليها والتنبيه الى خطورتها .

فالتوصية الأولى تناولت ضرورة وضع أهداف واضحة لتدريس مادة الأدب على المستويات المختلفة في مراحل التدريس آخذة بعين الاعتبار الانسان العربى ومجتمعه وبيئته وقضاياه الاجتماعية والوطنية والقومية والانسانية وتفتح السبيل امام المتلقى ليصل الى موقع يكون فيه متفاعلا مع تجارب الحاضر منتفعا من تراث الماضى ومتوجها نحو المستقبل .

والتوصية الثانية تهم تعميق التذوق الفنى والجمالى فى مناهج تدريس الادب لا تكديس المعارف وجمعها وحفظها عن ظهر قلب .

أما الثالثة فتدعو الى إبراز الاطار الحضارى للعصور الادبية العربية ليكون اطارا شاملا لدراسة الادب لا هدفا اساسيا له ، وتخصيص عصر النهضة والعصر الحديث بقسط وافر من العناية بما يؤهل المتلقى لفهم حاضره وقضاياه الملحة والمصيرية وتزويده بأدوات الدراسة والمعرفة والاختيار والتمحيص الملائم لذلك .

والتوصية الرابعة تحض على تشجيع الاتجاه الآخذ بتعريف الدارسين بروائع الادب العالمى ونظيراتها العربية والافادة من المقاييس والمذاهب العالمية بما يتلاءم والخصوصية الوطنية والقومية والانسانية للمجتمع العربى المعاصر.

أما الخامسة فتشير الى وجوب تحديث أساليب تدريس اللغة العربية بما يخدم الادب العربى ويربطه بالحاجات الحضارية المتنامية للامة العربية، والابتعاد عن الاساليب القديمة التى تحيل النص الادبى الى مجرد مادة قابلة للاستظهار بما يعزز الدور الفاعل للغة والادب فى الحياة القومية للجماهير وحركة المجتمع والعصر .

وتحت التوصية السادسة على ضرورة أن تمثل النصوص المدرجة فى كتب تدريس الادب كافة الاقطار العربية حتى يتمكن الدارسون من الاطلاع على الواقع الادبى فى الوطن العربى بصورة شاملة .

وأخيرا فان التوصية السابعة تؤكد على ضرورة عقد ندوات ولقاءات دورية متخصصة تضطلع بها وزارات التربية والتعليم والجامعات فى الوطن العربى بالتنسيق والتعاون مع الامانة العامة للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى الجامعة العربية ومراكز البحوث والدراسات العلمية ذات العلاقة المشتركة من أجل الوصول الى وضع صيغة موحدة لمناهج وبرامج وأساليب تدريس الادب فى الوطن العربى ، آخذة بعين الاعتبار الخصائص الوطنية ضمن الشمولية القومية .

هكذا يظهر إذن من هذه التوصيات أن العمل كان جادا طموحا يتناول جزئيات كثيرة كان ربما من الافضل تحاشيها نظرا الى وجوب سلوك المرحلية فى هذا الباب .

ذلك أن أول ملاحظة يمكن إبرازها فى مادة تدريس الادب فى البلاد العربية هو خلو البرامج من نظرة شاملة ومستوفاة الى أهم التيارات الادبية الموجودة فى كل قطرٍ عربى مع أسماء أعلامها وأروع آثارها ، فهل نحن نجد مثلا فى الكتب المبرمجة بالمشرق العربى نصوصا كثيرة تعرف الناشىء العربى باهتمامات الكتاب المغاربة قديما وحديثا ؟ وهل نجد أكثر من ذكر أبى القاسم الشابى وفى بعض الاحيان محمود المسعدى ؟ بينما الادب التونسى الحديث يزخر بالكتاب والشعراء الذين لا يقلون قيمة واثرا عن أشقائهم المشارقة .

وإن الخطوة الاولى التى من الواجب علينا أن نخطوها هى أن نخصص ندوة من الندوات القادمة الى فض هذا المشكل ببرنامج مضبوط يقدمه كل اتحاد ويضع فيه الحد الأدنى مما يجب أن يعرفه المتلقى الناشىء عن أدب الأقطار العربية الاخرى . ذلك أن العقبة الاولى تكمن فى الاتفاق على انه من الواجب

التعريف بادب كل قطر ثم نقف عند هذا الحد بينما المجهود الذى يفرض نفسه علينا هو أن نقوم بعمل ملموس مجسم وإنى فى هذا الباب اقترح أن يعمد كل اتحاد :

1) إلى إعداد كتاب مختصر يتضمن أهم التيارات الادبية والفكرية مع الأعلام والنصوص ويقتصر فى ذلك على الادب الحديث فى قطره .

2) إلى إعداد مختارات على حدة تهم الشعر والقصة والدراسة والبحث والنقد وإن هذا العمل من شأنه أن يسهل العمل على أمانة اتحاد الادباء العرب فتصدر هى بدورها كتابا يتضمن كل التيارات الادبية والفكرية فى الوطن العربى مع الأعلام والنصوص لتكون مرجعا فى إعداد المناهج والبرامج . وبذلك نسهل على وزارات التربية فى كل بلد عربى تنفيذ هذه الأمنية .

وبديهى أن هذا العمل يقتضى التمويلات الضخمة والمجهودات الجبارة التى يجب أن تتضافر للخروج من هذا التعثر الذى ينسب الى اتحاد الادباء العرب وهو فى الواقع ليس بتعثر وإنما هو تحسس للعمل المثمر المجدى الذى لا يأتى إلا باللقاءات المتكررة والحوار المستمر .

فحبذا ، إذن ، لو خطونا هذه الخطوة فنكون قد أسدينا الى الأجيال العربية خدمة جليلة فى مزيد التعريف بالأقطار العربية وبرجالاتها وبظروف حياتها وهو الضمان الوحيد الذى به نتقارب ثم نتعاون ثم نتحد ...

ثم إن هناك مسألة أخرى لها أهميتها أيضا وهى التعادلية التى يجب أن نوجدها بين تدريس مادة الادب واللغة العربية . فكثيرا ما يعسر علينا التوفيق بين أمرين :

أ ـ تذوق التراث الادبى القديم الذى يمثل فى غالب الأحيان فترة من الفترات الماضية هو أمر لا مفر من إقراره حتى لا نقطع الصلة بماضينا .

ب ـ اعطاء اللغة العربية شحنة عصرية تحمل بين طياتها مفاهيم العصر وحضارته .

فالناشئة العربية هي بين أمرين فاما أنها تقبل على اللغة كـأداة حضارية عصرية تتجاوب مع العصر وهذا يقتضي الاكثار من النصوص الحديثة والبعد عن التركيز على التراث مما يفقد الناشئة الصلة بالادب القديم بما فيه القرآن الكريم ويجعلها لا تتذوق جماليا وبسهولة هذا الادب ، وإما أنها تتجه أساسا الى القديم وتفقد اللغة حيويتها والتصاقها بالعصر .

ولا يظنن احد أن هذا ينطبق على المختصين أو الولوعين بالادب العربي بل إني أعني الكثرة الكثيرة من الذين أصبحت اهتماماتهم بعيدة عن الاختصاص في الادب واللغة .

ولهذا فانه لا يمكن بصورة من الصور أن تغيب عنا هذه الظاهرة وهي تفرض علينا أن نحبب الى هؤلاء التراث ولكن بلغة العصر وبانتقاء ما يمكن أن يقترب منها. ألم يحاول مثلا طه حسين كتابة أبيات من لزوميات المعري كتابة جديدة ؟ واذا كنا نوافقه أو لا نوافقه فان المسألة تبقى مطـروحة وتقتضي منـا الحـل المناسب والأقرب الى المعقول .

وهكذا فاني أعتبر أن هذين المسألتين هما الجديرتان بالانكباب عليهما في الوقت الحاضر لأنهما ربما تفضيان الى التطبيق العاجل،أما ما يتعلق بالنظريات التي تخضع في الواقع الى الايديلوجيات فانه يمكن انتظـار مـرحلة أخـرى لاحقـة .

وخلاصة القول : إن هذه الندوة الغزيرة المادة والجليلة الموضوع يجب أن تتبعها ــ من قبل الأمانة العامة للأدباء والكتاب العرب ــ خطوة أخرى عملية في الاتجاه الذي ذكرته وأن تتحمس لها الاتحادات وتشرع في هذا العمـل الذي لا يمكن لأي عربي إلا أن يهتز له ويباركه .

البشير بن سلامة

بين الأدب والعمل السياسي والاجتماعي

بقلم : محمد مزالي

« وجه فى المرآة » برنامج اذاعى (*) ، تونسى يفتح كل أسبوع حوارا مستفيضا مع أحد رجالات الأدب والفكر .

وقد التقى المستمع التونسى من خلال هذه النافذة مع محمد مزالى مفكرا وسياسيا . فكانت التناولات ـ على تباينها ـ هامة تقول بتأكيد الحضور الوطنى البناء فى ظل « الديمقراطية » الحق ، وبالعمل الجاد على نمذجة « المواقف » والسمو بالانسان الى درجات الاعتبار .

و « من وحى الفكر » و « فى دروب الفكر » كان اللقاء الفكرى مع الاستاذ محمد مزالى .

س : نظرا الى كثافة تحركم سياسيا وفكريا فى شتى المجالات ، ونظرا الى المتابعات الدائمة التى توليها لكم وسائل الاعلام السمعية والبصرية والمكتوبة ، فانه يعسر حقا الاحراز على سؤال طريف يكون بمثابة السبق الصحفى .

وعلى هذا الاساس وانطلاقا من عضويتكم فى « المجمع اللغوى العراقى » أخيرا ، الى جانب عضويتكم القديمة فى بقية المجامع العربية (سوريا ـ مصر ـ الاردن ..) يطرح السؤال :

ـ كيف ترون امكانية تطوير تلك المجامع حتى يكتسب دورها فاعلية أكثر ؟

(*) يشرف على هذا البرنامج الاديب محمد مصمولى

ج : إنه سؤال طريف وسأحاول أن أجيب عنه بكل صدق . أولا ، انى اعتز وأتشرف بثقة زملائى فى الحرف وفى الفكر على صعيد الوطن العربى . هذه الثقة التى بوأتنى اعتبارا مرموقا وقالت بعضويتى فى مجامع عربية تنتمى الى هذا الوطن العربى الكبير .

وأعتقد أن فى هذا التشريف شرفاً لتونس ، وأن الاخوان أبوا الا أن يشرفوا تونس في شخصي ، ويعملوا على تمثيلي في هذه المجامع .

وفيما يخص السؤال المطروح وبكل صدق أيضا ، أرى أن هذه المجامع اللغوية العربية مدعوة ـ لا الى مضاعفة عملها فحسب ـ بل الى تطويره لمزيد القدرة على مواجهة المشاكل الكبرى التى تعترض اللغة العربية اليوم ، وهى تقف وجها لوجه مع تحديات مختلفة كتحدى التخلف أو تحدى السبق الذى حصلت عليه بعض اللغات الحية العالمية الاخرى وهو سبق أفرزه السبق الحضارى الذى سجلته أوربا والولايات المتحدة واليابان وبعض البلدان الاخرى . وهى مدعوة الى مواجهة الواقع اللغوى فى العالم العربى وهو واقع يتميز أو يتصف بعدة مشاكل وسلبيات منها : الصراع والتنافس أو على الاقل التواجد بالمعنى المكانى بين لغة عربية وبين لهجات عامية ، بحيث ان اللغة العربية فى بعض الاحيان ليست هى اللغة التى يستعملها الشعب فى قضاء شؤونه اليومية ، وثانيا ، أن اللغة العربية نفسها تتارجح بين اللغة ذات المستوى الأدبى الرفيع أو المكتوب وبين ضرورة الاستعمال والوسائل السمعية ـ البصرية ، بحيث ان هناك ضرورات تطوير اللغة العربية للوصول الى لغة عربية سليمة تقف وسطا بين اللغة المتقعرة (لغة الخواص) وبين اللغة البسيطة التى يتداولها عامة الناس .

فلا بد من درء التخلف وضرورة ملاحقة العصر واستيعاب المفاهيم الجديدة والرموز المستحدثة والقدرة على التعبير السهل المطوع الذى يخول لكل عربى التعبير عن كل المفاهيم والمعانى الجديدة . ويبدو أنى كلفت اللغة أو المجامع فوق طاقتها لأن اللغة ـ احقاقا للحق ـ هى المعادل للبشر الذين يتكلمونها يوميا . وعلى هذا الأساس ، لا يمكن للمجامع وللغويين أن يقفزوا على مستوى الأمة التى ينتمون اليها أى مستوى الاطارات أو المستوى العلمى والثقافى والاقتصادى والاجتماعى لهذه الامة . وأن ينسقوا فيما بينهم كذلك . لأن هناك خطرا آخر هو أنه فى ترجمة أو تعريب بعض المفاهيم

الجديدة العلمية منهـا خصوصـا والحضاريـة وغيرها تتبايـن الاجتهادات والمصطلحات ، وهذا مـن شأنـه أن يبقى عـلى الاختلافـات الملاحظـة فى الاستعمالات بين هذا القطر وذاك . ولهذا أود أن تتطور طرق عمل المجامع وأن يقع بينها وبين الكليات والجامعـات والهيئات العلميـة واتحادات الكتـاب والصحافة مزيـد من التجاوب والتكامل والتراشح والتشاور ، حتـى تكـون مسيرتنا على درب التجانس المتوازى فى كل الأقطار وفى كل مواقع المسؤولية الثقافية والتربويـة .

س : يمكن أن نتفـاءل فى هذه الناحيـة مـن حيث امكانية التنسيق ، خصوصا وأن وجودكم فى كل المجامع اللغوية يخول لكم القيام بعملية التنسيـق .

ج : لا بد من أن يكون العمل جماعيـا وبالنسبة لـى ، فانـه ـ من سوء الحظ ـ لا يمكننى الحضور الدائم والمتواصل فى كل هذه المجامع اللغوية ، نظـرا الى مسؤولياتـى الكثيـرة فى النطـاق القـومى . ولكنـى أسعـى وزملائـى التونسيين وغير التونسيين الى التغلب على هذه المشاكل والـى التأكيد على انتهاج طرق جديدة ووسائل عمل طريفة .

س : لعـل أكبـر هديـة قدمهـا الادباء التونسيون لأنفسهم فى هذه السنـة الجديدة اعادة انتخابكم بالاجماع رئيسـا لاتحاد الكتاب فهـل لكم برنامج عمل يضمن اصـلاح شـؤون الأدب بواسطـة الاتحـاد ، ويسمـح للفكـر التونسى بالتغلب على العراقيل التى تثبط من عزمه فى الوقت الراهـن كمسألـة نشر الكتاب داخل تونس وتوزيعـه فـى الخارج ، وخلـق ظروف مناسبة للابداع بوجه عـام .

ج : أولا ، اود أن اغتنم هـذه الفرصة لأعبر من خلال هذا البرنـامج عن مدى امتنانى واعتزازى بكافة زملائى : اعضاء اتحاد الكتاب المساهمين فـى الجلسـة العامـة للمؤتمر الأخيـر ، والذين ابـوا الا ان يجـددوا انتخابـى

بالاجماع ، (*) بينما عبرت شخصيا قبل ذلك عن رغبتي في تسليم المشعل الى أحد الزملاء خصوصا واني عشت تاسيس الاتحاد وتراسته منذ تأسيسه حتى اليوم ، وقلت في نفسي : لعل الوقت حان لنعمل بسنة التناوب . لكن أبى كل زملائي الا أن يجددوا ثقتهم في وقد تقبلتها بكل اعتزاز وارتياح ، واعتبرتها حافزا جديدا لي ، حتى أواصل وأضاعف مجهوداتي مع زملائي : اعضاء هيئة اتحاد الكتاب وكافة المنخرطين في سبيل النهوض بشأن الادب والثقافة والاخذ بيد الزملاء الكتاب ، ولا أعتقد أنه يمكن لأي كان أن يقول ـ حتى رئيس الاتحاد ـ بأن له برنامج عمل ، كل ما في الامر ، أنه يجب التعاون مع أفراد الهيئة من جهة ، والتعاون بين الهيئة وبين أكثر ما يمكن من أعضاء الاتحاد لوضع برنامج أو لاعادة وضع برنامج عمل بالنسبة الى السنتين القادمتين . وهذا فعلا ما ننوى القيام به وقد اجتمع مكتب اتحاد الكتاب وعين لجنة لاعداد مشروع برنامج مستوحى من مناقشات الكتاب ومن مقترحاتهم وحتى انتقاداتهم الايجابية أثناء الجلسة العامة . وعندما نضع هذا المشروع للاتفاق على برنامج عمل ، نفكر في دعوة عامة للنقاش مع كافة أعضاء الاتحاد حول هذا المشروع ثم نلتزم جميعا وخصوصا ـ نحن اعضاء مكتب الاتحاد ـ بالسعي الى تحقيقه .

سوف نولي أهمية بالغة لعلاج قضايا النشر والتوزيع وحقوق التاليف وهي من القضايا التي تركز النقاش عليها ، والتي يتألم منها جل الكتاب . وارجو أن نعقد ـ بعد ضبط برنامج النشاط ـ جلسات عمل مع وزارة الثقافة والاعلام، ووزارة المال ، حتى نخفف على الاقل من أعباء هذه المشاكل ونيسر للكتاب وسائل جديدة تمكنهم من الانتاج والخلق والقيام بوظيفتهم السامية في مجتمعهم النامي .

س : أنتم والاساتذة الشاذلي القليبي ومحمود المسعدي ، والمرحوم علي البلهوان تمثلون طرازا خاصا من الادباء الذين جمعتم بين التأمل النظرى المتواصل في الواقع عن طريق الفكر والانتاج الفكرى وبين التأثير في

(*) تم إجراء هذا الاستجواب للأستاذ محمد مزالي وهو وزير للتربية القومية واثر تعيينه وزيرا أول اضطر للاستقالة من رئاسة الاتحاد فاضفى عليه اخوانه في اتحاد الكتاب التونسيين لقب : **الرئيس المؤسس للاتحاد .**

الواقع عن طريق المسؤولية السياسية والعمل السياسي وسوف لن أطرح عليكم السؤال التقليدي حول كيفية التوفيق بين السياسة والفكر ، وانما سأطرح سؤالا آخر : هل المثقف المسؤول سياسيا في العالم الثالث يساهم بفكرة في قيادة السياسة أم أن السياسة التي ـ هو عضو فيها ـ هي التي تلهم فكره وتساهم في ضبط الآفاق التي يتحرك في اطارها .

ج : سؤال هام وله أبعاد كثيرة والسؤال يطرح اسئلة أخرى كثيرة حول طبيعة الكتابة ووظيفة الكاتب والسياسة . ان الزملاء الذين ذكرتهم وغيرهم من رجالات الفكر والعمل قد تجمع بينهم بعض الخاصيات فهم تكونوا وتلقوا ثقافة مزدوجة وجمعوا بين القول والعمل ، بين الانتاج الفكري وبين العمل . وربما يكون مرد هذا الى شيء في مزاجهم ، الى عناصر ثقافتهم ، الى انصهارهم منذ نعومة أظفارهم في بوتقة الحركة الوطنية او الى ايمانهم بضرورة العمل المحسوس للتأثير في الواقع ، لان الادب أو الادباء كثيرا ما يجنحون الى التأمل المجرد ، والى الحياة في الاحلام . فهذا لا يخلو من لذة ومتعة وجمال فني كما يعبر عنه . لكن الادباء من هذه الناحية يبقون دائما في منزلة المتامل البعيد عن خضم الحياة ، ثم ان هؤلاء الاخوان لم يقعوا في فخ الادب والثقافة بوصفهما مجرد نقاش أو مجرد رفض . ذلك ان تاريخ الفكر الانساني ـ منذ خمسة وعشرين قرنا منذ ان بزغت حضارة اليونان ـ سجل ظاهرة لا يمكن انكارها وهي ان الثقافة والادب يمتازان دائما بالرفض فالاديب يرفض،وينتقد ولا يتلاءم مع المجتمع فيشكله الجاهز ، في نظمه ، في مؤسساته وهذه وظيفة سامية على ما أعتقد ، لان الاديب يخز المجتمع ويحمل البشر على النظر أو اعادة النظر في وضعهم وفي معتقداتهم . ولهذا فهي وظيفة احياء وانعاش ولو أنها اتخذت وتتخذ في التاريخ صبغة الرفض العنيف او ذلك الرفض الذي يؤدي الى الهامشية .

لكن ربما هؤلاء وغيرهم عبروا عن وظيفة الادب والفكر بصورة ايجابية عوضا عن ان يبقوا على الربوة ويلوذوا بمجد الكلمة في روعتها ، وروعة التفكير في عظمته وذلك بالدخول الى المعمعة والالتصاق بالشعب . وربما اختاروا الطريق الصعب وهو الاخذ بالجدل البناء بين المفكر اذ يفكر والانسان اذ

يعمل بجوارحه مع الانسان ، لان العمل مع الناس ليس بالسهل . ان الوحدة أو الوحدانية أو الفردية او التفرد بالرأى والقبوع فى زاوية أو فى مؤسسة على هامش المجتمع أسهل من النزول الى الميدان والحديث مع الناس والتعامل معهم برغم متنافضاتهم ونفوسهم الامارة بالسوء وبرغم الغيرة والانانية واختلاف وجهات النظر . ان هؤلاء تسنى لهم ذلك ، ربما لانهم عاشوا مع الشعب منذ صغر سنهم ، وربما لان الحظ التاريخى أراد لهم أن يجدوا أنفسهم فى صلب الحركة الوطنية الدستورية البورقيبية وهى حركة شعبية منبثقة من الشعب . فهذه بعض الخصائص وبعض الاضواء التى يمكن أن نلقيها على بعض النفسيات .

بالنسبة الى هؤلاء الزملاء ـ فقد جمعوا ـ وهذا هو المهم ـ بين الانتاج الفكرى أو حاولوا على كل حال ذلك ، وبالنسبة الى محمود المسعدى فانه حقيقة نجح نجاحا باهرا واعتبره شخصيا من أكبر الادباء فى العالم العربى . هذه حقيقة يشهد بها القاصى والدانى ، وكلهم عملوا ـ الاحياء منهم على الاقل ـ ولا يزالون ، فىمؤسسات سياسية أو اجتماعية أو دستورية يعملون من أجل أن يجسموا فى الواقع أفكارهم من دون أن يفرطوا فى معتقداتهم ولا أن يتورطوا مع الواقع المرفوض ، بحيث يختلطون بالناس : خيرهم وشرهم ويخاطبون أسمى ما فى الناس وخير ما فى الناس لتنميته ، ولتجاوز الشر الذى هو جبلة فى كل واحد منا . وأعتقد أنها تجربة جميلة وطريقة تستحق أن تدرس وأود أن ينكب الادباء والاساتذة على انتاج محمود المسعدى اكثر مما هم يفعلون وعلى انتاج على البلهوان الذى هو ليس بمعروف بما فيه الكفاية وعلى انتاج الاستاذ الشاذلى القليبى وغيرهم .... حتى يتلمسوا هذا الانتاج ...

س : لكن هل هذا دائما ممكن ؟ ان المثقف ـ عادة وفى العالم الثالث بوجه عام ـ عندما ينتسب الى حزب معين أو انتماء سياسى معين يصبح فى أغلب الاحيان بوقا لذلك . قد يكون الامر فى تونس يختلف ، نتيجة طبيعة البورقيبية نفسها . لان بورقيبة بدأ بالقلم قبل أن يبدأ النضال المباشر والاحتكاك بالناس ... لكن ، فى أنظمة أخرى قد يعسر

أحيانا التوفيق بين التفكير الحر والجهد العملى فى الواقع .

ج : أعتقد أن القضية ليست هى التوفيق بين الادب وبين العمل الاجتماعى أو السياسى . المشكل القائم هو بين الانسان ونفسه : يعنى هناك السياسى ذو الحزم والعزم والشخصية القوية ، وهناك الاديب السياسى ذو الشخصية الضعيفة أى أن هناك بعض أدباء ، بعض أناس ينطلقون فى عملهم السياسى وهم يحملون أفكارا أدبية ، رائعة وقد كتبوا كتبا معتبرة ، وتصوروا المجتمع تصورا ما ، قائلين بأنهم سيساهمون فى تطوير المجتمع وفى افادة الناس . ولكن ضعفهم الذاتى وهشاشة شخصيتهم وتواطؤهم مع الواقع ، لم يغير الواقع ، بحيث ، المسألة ليست مسالة التوفيق بين طبيعة الادب وطبيعة السياسة ، فالقضية هى : هل هذا الاديب أو هل هذا السياسى يمتلك شخصية قوية أم لا ؟ كى يختلط ويتفاعل مع الناس فيفيدهم ويفيد منهم . ويوفق بين شخصيته الفذة وبين العمل الاجتماعى الذى يقتضى الانسجام والتجاوب . أى يكون فى النار ولا يحترق ، يعايش الناس ، يحاول التأثير فيهم ، وقد يتأثر بهم لا محالة ، لكن ، دون أن يخون أو يتنكر لمبادئه أو يتواطأ مع الواقع . قد يرغب أو يطمع أو يخون ، أو يسيل لعابه لجمع المادة أو تأخذه الخيلاء والزهو أو يغتر ببريق الكراسى . فالقضية لا تعدو ان تكون قضية اخلاقية وليست أدبية أو سياسية .

هناك سياسيون أدباء ولكن ، يتواطؤون ويخونون مبادئهم . وهناك أدباء عندما يدخلون باب السياسة ينسون الادب وينسون مبادئهم . لكن هناك أدباء يستعملون السياسة بصفتها أداة تبليغ رسالتهم ، أى يمكن للانسان أن يبلغ رسالته بالكتابة ، ويبلغها بالعمل اليومى مع زملائه فى درب الكفاح . فالمسالة مسألة مستوى الشخص . فهل السياسة غاية أم وسيلة ؟ وهل نحن نكتب ونجود بالافكار الغزيرة لغاية الوصول الى الكراسى ؟ ام ان لى ايمان أصيل وشخصية قوية أجذر بهما مبادئى ولى من الواقعية ما يكفى فاستعمل الكرسى وأكون فى نار السياسة ولا أحترق . حتى تكون السياسة اداة لخدمة الشعب وتجسيما ـ لا محالة تدريجيا ـ للمبادىء والمثل العليا التى نؤمن بها . ولهذا ، اعتقد أن الرئيس الحبيب بورقيبة هو مثقف قبل كل شىء . وهو ابن بار لتونس أصيل . لكن يرى أن تغيير الواقع التونسى الذى كان مطبوعا بطابع الاستعمار الفرنسى لا يتسنى الا بالعمل السياسى الذى لا ينتج عنه أى تورط ، لا مع الذات ولا مع الغير . فنحن كذلك . ويرى بعض

الناس أنه لا يمكن لاديب أن يقتحم الميدان السياسي ويتبوأ منصبا حكوميا . وأنا أقول : يمكن . وعندنا أدباء كثيرون هم بمنأى عن الحكومة لكنهم متواطئون مع أنفسهم الامارة بالسوء ومع الناس ، والعكس بالعكس ...

س : هذا شرف للأديب أن يستطيع الوصول الى تحقيق بعض الطموحات على صعيد واقعي . هم يريدون أن يكون الأديب دائما على الهامش ؟

ج : لا ، بالعكس ! أنا أعتقد أنه متى قلنا بهذا التهميش يعني وضعناه على الهامش . هذا ضعف من قبل الكاتب وفي شخصيته . أنا أعتقد أن الأديب مطالب بتحمل مسؤوليته . هو حر ، لكنه مسؤول . عليه أن يدخل المجتمع ويتنزل في معمعة العمل الاجتماعي . والمحك ، محك قيمته : في كونه يعمل من غير أن يتورط أي من غير أن يتنكر لمبادئه أو أن يزور أفكاره ومثله العليا ، ويحاول أن يؤثر في الناس وقد يتأثر بهم . لأنه ليس معصوما ، يعني أنه يعي مقتضيات الواقع .

س : بدل من أن يكتفي بموقف المتفرج السلبي ، يشارك ويساهم ..

ج : ولكن هذا يقتضي حضورا شخصيا قويا . ليس كل واحد قادرا على العمل وعلى التأثير وعلى الخطابة وعلى الصبر على مكائد الذين يغارون ويحقدون .

س : قال الرئيس الجليل المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة ذات مرة ، ما معناه : ان سيادته لولا انشغاله بالسياسة واضطلاعه بقيادة الحركة الوطنية ، لاصبح أديبا كبيرا . وقال الرئيس الفرنسي جيسكار ذات مرة ، ما معناه : لو كان متأكدا (أي جيسكار ديستان) من قدرته على امتلاك اسلوب من طراز أسلوب الأديب الفرنسي فيدي مبسون ، لتفرغ للأدب وترك السياسة . ألا يعني هذا أن ارتياد آفاق عالية في الأدب أو في السياسة يحتاج أحيانا

الى تفرغ كامل لاحدهما بالرغم من ان هنالك القاعدة وما يثبت شذوذ القاعدة ؟ .

ج : اولا ، يجب ان نتحدث عن الأدب والأدباء ، ما معنى فلان أديب ؟ .

معناه أولا : له نظرة جديدة لنفسه وللواقع وللكون .

ثانيا : له قدرة على التعبير عن ذلك باساوب ادبى ، طريف ، فيه من الخصائص اللغوية والبيانية ومن الخيال ما يجعل ذلك الانتاج يؤثر ويحمل على التفكير وياخذ باللب . بحيث ، يكون نسيج وحده . وبذلك ، يكتسى صفة البقاء والخلود . هذا هو الادب الذى يمتلك حساسية جديدة ونظرة مستطرفة وتقييما مستحدثا وتعبيرا طريفا عن أحاسيس مختلفة . فالاديب من خلال تجربته الشخصية يعبر عن تجربة الناس وعن أشواقهم أو ربما يتنبأ بتطور وجدان الناس وحاجاتهم مستقبلا . هذا هو الادب . فالفرق بين مقال صحفى بسيط وبين مقال ادبى هو أن المقال الصحفى تقرؤه وتنساه ، لكن المقال الادبى يطبعك ويؤثر فيك ويحملك على التفكير ، وربما يثريك من حيث الوجدان والأحاسيس .. الخ ...

فالرئيس الحبيب بورقيبة اعتبره اديبا . ربما جيسكار ديستان هو اديب . أى انى لا أعرفه كما أعرف الرئيس الحبيب بورقيبة .

ان الرئيس الحبيب بورقيبة رأى انه من الاوكد التفرغ الى تحرير بلاده من وصمة الاستعمار . ولهذا فان الادب لا يتنعش فى تونس ولا تزدهر الثقافة الا اذا تحررت تونس وتثقف ابناؤها ثقافة قومية ، أصيلة ولهذا هو اديب ، ومفكر ، لكن كرس ملكته الأدبية والثقافية وملكته النفسية البشرية لايجاد مجتمع جديد ، حر ، متحرر ، أصيل من شأنه أن يكون مناخا ملائما لآلاف الأدباء وآلاف المفكرين . هو من ناحية أخرى اديب ادرك قبل غيره بحساسيته وشفافية تفكيره واتساع خياله . أن وضع تونس فى الحماية سيؤول الى زوال الأمة التونسية . وعلى هذا الأساس ، رأى ــ قبل الكتابة فى الشعر أو دراسة المتنبى أو غيره ــ أن يكرس كل طاقاته لتحرير تونس . فهو استعمل السياسة لبلوغ هدف انسانى فكرى ، أدبى .

وربما لو نشأ الحبيب بورقيبة فى تونس مستقلة وحرة ، كما ينشأ الآن اطفالنا وأبناء أبنائنا الى يوم أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، لأمكنه أن ينتج أدبا ..

فكل من ينشأ فـي تونس ، سيجد البلاد التونسية حرة ، ويمكن للأدبـاء وللموهوبين أن يخلقـوا وأن ينتجوا شعـرا أو قصة أو تفكيرا جديدا . وفي اعتقادي أن الحبيب بورقيبة أديب مثقف ، مفكـر أعطى الأولويـة لضرب من الكفاح الثقافي يهدف الى توفير الاسباب الحقيقية للاجيال القادمة والمفكرين فـي تونس .

هذا التحليل يعطي ضوءا جديدا على جانب من جوانب عبقرية الرئيس ، لكن ، تفرغ الرئيس للسياسة لم يمنعه من أن يتذوق الادب . ولعلك تذكر أنه ـ في العدد الخاص من « الفكر » الذى أصدرناه في أكتوبر 1973 حول عيد ميـلاد الرئيس السبعين ونشرنا فيه قصائد كثيرة للتونسيين وغير التونسيين من البلدان العربية ، نشرنا أيضا محاضرة للرئيس حول الشعر ، عبـر فيهـا السيد الرئيس عن رأيه في الشعر والاوزان والبحور . فلو تفرغ الرئيس الى الادب ـ وموهبته واضحة في ذلك ـ لانتج أشياء كثيرة رائعة ، اذ ليس هناك أى تنـاقض .

س : طبعا ، ليس هناك أى تناقض . فبدلا مـن أن يكتب سيـادة الرئيس ملحمـة علـى الورق ، كتبها ـ بتعبير الاستاذ محمد مزالي ـ ملحمة على صعيد الواقع الانساني ..؟

ج : هي قصيدة شامخــة ...

س : أبـو القاسم الشابـي يقول : اذا الشعب يوما أراد الحياة ...

ج : لكـن ، من جسم ارادة الشعب ومن وضع استراتيجيـة للكفاح ، ومن ظل في السجن ، وفي غير السجن وكافح مدة 25 سنة حتى يجسم رؤية وصرخـة أبي القاسم الشابي ؟ انـه الاديب ، الاديب السيـاسي : الحبيب بورقيبــة .

س : لقـد ناضلتم فـي حقل التعريـب طويلا . فما هـي الخطوات المقبلة للتعريـب في تونس ، كيف ترونهـا ؟

ج : قلت في مجلس الامة وفي مناسبات كثيرة : إن التعريب يجب أن يبقى في اطاره البيداغوجي القومي . أي هو عملية تستجيب الى مطامحنا القومية ولا تتضارب مع ما نراه جميعا وما قررناه من ضرورة صبغ تعليمنا بالصبغة العصرية والعلمية والتكنلوجية ، حتى يتخرج شبابنا من المدارس وهو يعتز بلغته القومية ويمارسها ممارسة طبيعية من جهة أخرى ، ويكون حاذقا على الاقل لغتين أجنبيتين بهما يتصل مباشرة بكل المراجع العلمية والتكنلوجية ومن جهة ثالثة يكون محتوى التعليم محتوى علميا ، تقدميا ، يمكن الشباب من دخول عام 2000 من بابه الكبير . فهذا هو الهدف . فيما يخص الاجراءات تبقى اجراءات بيداغوجية . فنحن قررنا أن نعرب التعليم الابتدائي ونبقي اللغة الفرنسية كلغة . ولهذا ، يسير التعريب حسبما اتفقنا عليه . أي نعرب المواد سنة بعد سنة . وقد وصلنا الآن الى السنة الخامسة وسيشمل هذا التعريب السنة السادسة . فنكون قد حققنا البرنامج المتفق عليه . وأقول لحضرات القراء : إن تعليم الفرنسية ابتدا بعد ، كما كان مقررا في السنة الرابعة ، وهو الآن ، في السنة الخامسة بحساب عشر ساعات في الاسبوع . وسيتواصل في السنة السادسة . فالتعريب يسير سيرا هادئا ، طبيعيا . وغايتنا كما قلت هي رفع المستوى والتأكيد على اللغات وعلى العلم ، وجعل اللغة العربية محل النظر من طرف ابنائها ، على أنها هي اللغة القومية ، فلا تذبذب ولا فرنكوعربية ولا تشتت .

س : هل من اضافة أستاذ محمد مزالي ؟

ج : وهكذا يسير اصلاح التعليم سيرا هادئا ، طبيعيا ، مبرمجا ، بتعاون مع كافة الزملاء المعلمين والمرشدين البيداغوجيين والمديرين والمتفقدين الذين هم جميعا أحرص الناس على ضمان المستوى وتنشئة ابنائنا تنشئة اصيلة وعلمية تؤهلهم الى أن يحيوا عصرهم ويساهموا في بناء مجتمعهم ، وان شاء الله يساهمون في خلق الحضارة الانسانية .

1980/1/4

محمد مزالي

حُلم السّندباد

شعر : جعفر ماجد

ناجيتُ فيك خيالا سِرّهُ بلوى   وأنت يا حلوتي أحلى مِنَ النجوى
وَجَدتنِي ذاتَ يومٍ غيرَ عابثةٍ   وكنتُ أشربُ من عينيكِ لاأروَى
فَغَيَّرَ العمرُ مَجْرَاهُ وغيّرني   وقد نسيتُ بكِ الأتعابَ والشكوى
مازلتُ أدفعُ في الأمواج مركبتي   وأشتهي أن أرى آفاقَها القُصوى
وأحملُ الكونَ في عينيّ مغترباً   لا أرض تعرفني لا أهل لا مأوى
ختمتُ قلبي على سرّي وليس لنا   في رحلة الصمتِ إلا الريحُ والأنوا
وقصة حُرِّمَتْ حتى روايتُها   لأنّها في كتابِ الحبّ لا تُروَى
حتى طلعتِ علينا كوكباً وهجا   فجئت بالدفء والأحلام والسلوى
وإنني سندبادٌ عادَ مبتهجا   على سفينتَهِ الحبلى بمَا يَهْوَى
فعانقيه وضِمّيه مساعدةً   فإنّه مُتْعَبٌ ما زالَ لا يَقْوَى
وحاذِري أنْ يملّ المُكْثَ عادتَه   وأن يتوقَ إلى الأبعادِ والأجْوَا
فإنّ للأرض ريحاً ليس يُنكرُها   لكنه عاشقٌ للبحر .. إذ يُطوَى

الاولوية للفلاحة , لماذا ؟

بقلم : د . المنصف قسن

هل هذا السؤال ضروري في بلد فلاحي ؟ لماذا نطرح هذا السؤال في بلد جل سكانه ريفيون ؟ أفي هذا العصر توجد أولوية أخرى لبلد ذي موارد طبيعية متواضعة ونمو ديموغرافي مطـرد يصبو الى دعم استقلاليته وينشد الاستقرار والتـــوازن ؟ .

ولكـن لا مفـر من طرح السؤال لمـا فـي الحالة الراهنـة التي تعيشهـا تونس من مشاكل في هـذا الميدان يجب تحليلهـا والتسيطر عليها . وهـذه تونس التي نعتها المؤرخون بالخضراء وبالمخزن الغذائي أصبحت تصدر فـي 1980 مواد فلاحيـة لا تعدو 80 مليون دينار وتورد من نفس المـواد 171 مليون دينار فيصل عجزها في هذا القطاع الاساسـي الى 91 مليـون دينار . وهـذه تونس التي كانت مصدرا صافيـا للحبوب أضحت تورد أكثر من 600 ألف طن من الحبوب فـي 1980 يستعمـل غالبهـا للخبز اليومي للمواطنين والحـال ان الارض نفس الارض . وهـذه بلادنا تنتج 300 ألف طن مـن الحليب وتزيد عليه 360 ألف طن من الحليب المورد لتوازن العرض بالطلب . وهـذه تونس التـي نمت فيهـا جهات أو أجزاء جهات وبقيت أخرى تمثل مساحـات شاسعة فقيـرة متخلفـة تقدر المداخيل فيها بثلث مداخيل العاصمـة مع كل ما ينجم عن مثل هـذه الفوارق العريضـة من نزوح مـن أماكن الخصاصـة الى مواطن الوفـرة النسبية ومن مشاكل اجتماعية ونفسانية وعمرانية تنشأ وتتعقد وتستفحل من جراء هـذا النزوح . وهذه بلادنا تتضاءل فيها المداخيل الريفية فتبلغ نصف مداخيل المدن ويساهم 50 في المائـة من أهلها جلهم ريفيون بـ 20 في المائـة فقط من المصاريف القومية وتقلصت فيها نسبة مشاركة الفلاحـة فـي الناتج الداخلي الخام الى 13,6 فـي المائة في 1980 بينما يشغل هذا القطاع أكثر مـن نصف اليد العاملة .

تلـك الملاحظـات المتعـددة تـدل عـلى المنعـرج الغـريب الـذي أخذه اقتصادنـا منذ أكثـر من عشر سنوات وعلـى مدى التحدي الذي يواجه شعبنا فـي الوقت الحاضر وتفسـر العزيمة الصادقة التي عبرت عنها حكومـة السيد محمد مزالـي بهدى من المجاهد الاكبر للنهوض فعليا وبصفة لا رجعـة

فيها بهذا القطاع الحيوى . ان معركة الشعب التونسى فى هذا الميدان بالذات معركة حياة أو موت كما عبر عن ذلك أكثر من مرة السيد الوزير الاول اذ أن القطاع الفلاحى قطاع حيوى لاسباب مختلفة قد لا نأتى على كلها لكن من الضرورى أن نبين أهمها . فالفلاحة أولا هى الركيزة الاساسية للمجتمع التونسى ـ لا مجتمع الامس فقط بل مجتمع الغد الذى نريده عصريا ومتماسكا ومتوازنا .

قد يتسرب لظن البعض ان فى الاهتمام بالفلاحة رجوعا الى الوراء من حيث الاستراتيجية الاقتصادية وقد يذهب بهم الصلف للاعتقاد بأن التعصر ينحصر فى اقامة المصانع الضخمة وحشر الآلاف المؤلفة من التونسيين فيها كاجراء واقامة الاحزمة الحمراء حول مدننا وتلويث الهواء الذى نتنفس والماء الذى نشرب والبحر الذى منه نأكل وتعقيد مشاكل النقل واكتضاض ساحاتنا وشوارعنا بالسيارات والحافلات تلك الامرض الاجتماعية التى تعانى منها البلدان المسماة بالتقدمية والتى أثارت تدخل العديد من المصلحين فيها للتخفيف من حدتها . ويتغافل هؤلاء التقدميون منا عن الثورة الصناعية الثانية التى بدأت تعيشها البلدان المصنعة والتى ترتكز على تقنيات حديثة هى تقنيات الدماغ الالكترونى والهندسة البيولوجية وغزو الفضاء وتعتمد على اختراعات العقل البشرى الخلاقة فى السنوات الاخيرة وتركها شيئا فشيئا للصناعات المبتذلة من صنع قميص أو حذاء أو تجميع سيارة لبلدان العالم الثالث . ويتناسى بعضهم ان هذه البلدان مهما بلغ تصنيعها أوجه لم تهمل الفلاحة التى هى أساس العمران فترى بلدان المجموعة الاوربية القريبة منا تخصص للقطاع الفلاحى الاعتمادات المتزايدة والتشجيعات المتنوعة وتشاهد أشد بلدان العالم صلابة اقتصادية وأعظمها قوة انتاجية ـ امريكا ـ تصدر اول ما تصدر المواد الغذائية وتعتبرها سلاحا صارما فى علاقتها الخارجية وقد تقدمت الانتاجية الزراعية فى امريكا تقدما باهرا تسجله الارقام التالية :

ففى سنة 1910 انتج العامل الفلاحى فيها مواد غذائية تكفى لسد حاجيات 7ر1 من الاهالى وفى سنة 1940 بلغ الانتاج الفلاحى لسد حاجيات 7ر10 من السكان وفى 1980 وصل لسد حاجيات 65 نفرا . وننظر لاحصائياتنا فنجد ان انتاجنا من الحبوب فى 1958 بلغ 2ر8 مليون قنطار ولم يصعد سنة 1978 الا الى 9 ملايين قنطار بينما ازداد عدد السكان ببلادنا بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة ويجهل أو يتجاهل أصحاب النظريات أن تجربة التصنيع المفرط لم تأت أكلها فى كل الميادين . فلنأخذ مثلا قطاع النسيج والملابس الذى

نباهي بـه . لقد صدرنا في 1979 بما قدره 129 مليون دينار ولكن وردنا ما قدره 118 مليون دينار رغم كل التشجيعات التي منحت في اطار قانون 1972 وقانون 1974 . أهذه نتائج باهرة تستحق توظيف موارد هامة لمثل هذا النشاط على حساب الزراعـة ؟ .

والفلاحة ثانيا هي في الحقيقة المنطلق الطبيعي لحركة التصنيع التي تنبع من صميم الواقع التونسي اذ تشكل الارضية الواسعة لخلق صناعات تصبيرية وتحويلية للانتاج الفلاحي وقد تقدمت فعلا هذه الصناعات وأصبحت قيمتها المضافة 27 مليون دينار سنة 1979 بينما كانت سنة 1970 حوالى مليوني دينار ولكن حصل هـذا التقدم الى حد بعيد نتيجة ازدياد انتاج زيت الزيتون الذى نقاسي الآن الامرين لتصديره بالطرق القديمة في الاسواق المألوفة وكان من الممكن أن يزدهر قطاع هذه الصناعات بصفة أوفر لو ارتفع المنتوج الفلاحي بأكثر كثافة وتنوعا . فقد ازداد سعر السكر الذى نورده للاستهلاك الداخلي ثلاث مرات بين 1978 و 1980 وتحمل صندوق التعويض مصاريف باهظة للحد من انعكاس هـذا الارتفاع العالى على المقدرة الشرائية للمواطن والحال اننا نستطيع أن نصنع السكر الذى نستهلكه في عقر ديارنا . وكذلك الشأن بالنسبة للحليب واللحم . والفلاحة ليست فقط الارضية التي كان من الضرورى أن تنطلق منها حركة التصنيع بل هي كذلك بتقدمها وتعصيرها وارتفاع المداخيل في الارياف الذى ينجر عن ذلك الدعامة الاساسية لتوسيع السوق الوطنية لاستيعاب المنتوجات الصناعية . اذ كلنا يعلم ان العقبة الكبرى أمام بعث صناعة مزدهرة ببلادنا هي ضيق السوق الوطنية الذى يفرض سلما معينا لانتاج الوحدات الصناعية لا يمكنها من الرفع من الانتاجية ومنافسة البضائع الخارجية سعرا وجودة . فالتوزيع الاكثر عدالة للمداخيل وصعود هذه المداخيل في الارياف هما في صالح حركة التصنيع يسهلانها ويدعمانها ويهيئانها لغزو الاسواق العالمية والا فتبقى مثل ما هو الحال عندنا هشة لا تقف في وجه الارياح .

والفلاحة ثالثا : هي سبب أصلي من أسباب المناعة ببلادنا وامتداد في الحقل الاقتصادى لاستقلاله السياسي وسيادته . هذا لا يعني اننا سننتج كل شيء في بلادنا فالطقس والجغرافيا يفرضان حدودا معينة لتنويع الزراعة ويحملاننا على شيء من التخصص في المنتوجات التي لنا فيها مزايا طبيعية ولكن من المعقول كذلك ان نرفع وننوع هذه المنتوجات الى أقصى حد ممكن حتى نقضي على التبعية لسد حاجياتنا المتأكدة وخلق فائض متزائد نصدره

لنورد ما لا نستطيع انتاجه ونمول به وارداتنا الاخرى لتجهيز البلاد ودعم وسائل الانتاج فيها .

ففكرة الامن الغذائي فى الوقت الذى يتحدث بعضهم عن السلاح الاخضر هى تكملة طبيعية لفكرة الامن العام واستتبابه فى انحاء البلاد التى بنيت عليها دولتنا الفتية . وللامن الغذائي وجهان أساسيان : الوجه الاول ذكرناه . والوجه الثاني يتعلق أساسا بتضامن الشعب التونسي فى جميع اجزائه وفى كامل أنحاء البلاد ريفا ومدنا . فكيف يتوفر الامن العام اذا استمررنا فى الاتجاه المعاكس للفلاحة ونزح البشر من الارياف الى المدن وتفشت البطالة وشاخت البوادى وتقلص فيها ضوء الحياة وقلت فيها المرافق الاساسية وشكا أهلها الخصاصة ؟ وبأية ذريعة نبرر الوفرة للبعض والحرمان للآخرين وهل يرضى حتى سكان المدن اذا اضطرت الحكومة للزيادة فى سعر الخبز وبقية المواد الضرورية التى نورد الآن منها الكثير والتى ما فتئت أسعارها العالمية تزداد ارتفاعا ؟ لذا وجب ضمان الامن الغذائي للمواطن بصفة نقدر التسيطر عليها لانها فى حكم تصرفنا وتنظيماتنا ومقدرتنا على اخراج خيراتنا من أديم الارض . وقد شعر بهذا أشقاؤنا فى بلدان الخليج العربى الذى تمنعهم قساوة المناخ من توفير المواد الغذائية لمواطنيهم وهم يحاولون منذ سنوات لاستكشاف الامكانيات الزراعية فى بلدان عربية مثل تونس لتنميتها والاستفادة منها .

ان تركيز الحكومة على الفلاحة واعطاءها اياها أولى الاولويات يدلان على الوعي الكبير للبعد الاقتصادى والحضارى الذى تتحلى به السياسة الجديدة . واتجاهها نحو التنمية الجهوية والتوزيع العادل للمداخيل يوازى تماما اهتمامها بالفلاحة .

بقى أن نذكر ان مشاكل الفلاحة التونسية متعددة الجوانب وبقيت معنا طوال الاحقاب الفارطة رغم المحاولات المختلفة لفض البعض منها . ومن هذه المشاكل يجب أن نذكر تشتت ملكية الاراضى الزراعية وقلة الموارد المائية واستعمال طرق انتاج بالية وقلة الاطارات الكفأة وانعدام المسالك لترويج الانتاج وسياسة الاسعار ، ولكن فى نظرى ان ام المشاكل فى الفلاحة هى عدم توفير الاستثمارات الضرورية للنهوض بالفلاحة . ففى العشرية الفارطة لم نخصص للفلاحة الا 12 فى المائة من اجمالى الاستثمارات . فلا غرابة اذن أن نصل الى النتائج التى وصلنا اليها . لذلك لا مناص من الرفع من مستوى الاستثمارات الفلاحية ـ عامة كانت أو خاصة ـ والزيادة فى اعتمادات التنمية الريفية وتنظيم قرض فلاحى حقيقى يصل الى كل الفلاحين ويأخذ بيدهم الى دنيا التعصر والتنظيم والتفتح .

د. المنصف قن

عندما يتراكم الفراغ

شعر عبد المجيد بن جلو

لا ترجعي اني رميتك من يدي … من بعد ما كنت الطريق الى غدي
ماذا وقد أحسست أني زاهد … لوكنت اشعر بالهوى لم ازهد
الثلج يطفىء ما تفجر في دمي … لهبا بقلب خافق متوقد
قد كنت أحسب أن نيران الجوى … لهب الحنين بها قديم سرمدي
إن أطفئت يوما فإن اوارها … مهما خبا فمصيره لتجدد
ما عاد يسكرني من الزهر الشذى … والعين ليس يثيرها الغصن الندي
فالخوف كل الخوف يثقل كاهلي … لا عيش دون محبة وتودد
هذا الفراغ يدك نفسي انني … ما زالت أبصر فيه هول المشهد
ولقد بحثت بهيكلي عن كنهه … عبثا بقلب يائس متردد
يأسي يلاحقني ويبسط ظله … يمحو به ظلي ويطفىء موقدي
ولقد وثبت بإثر ظلي باحثا … عني فلم احصل (علي) وأهتدي
قد كان لي بالامس ذات أين ذاتي … يا ترى في ظلها المتعدد
قد كان لي ذات كاطياف المنى … حيرى بقلب كان غير موحد
ذات كألسنة الهشيم شواظها … في مثله شمس الضحى لم تشهد
ذات كإعصار الرياح اذا جرت … في البحر هوجا خلف موج مزبد
ذات كقصف الرعد روع آمنا … ذات كطوفان وعصف مرعد
لا ذات لا سكن بها لا ثورة … لا كون دون توثب وتمرد

«بيت القصيد»
ديوان شعر لعبد المجيد شيبه
تقديم ونقد : أحمد خالد

هذه المجموعة (1) الشعرية من أدب المعلمين تمثل مرحلة من مسار مرتب مرهف الحس عزّاف أنغام هزلية جدية في آن واحد تنقلك بخفة روحه على ضنك المهنة ومعاناة المعلم من ملحة إلى أخرى وأنت تلازم عالمه ترفقه في الفصل والساحة والفسحة والتربص والنشاط الإجتماعي والسوق والبيت فتضحك جهرا وتبتسم سرا في تعاطفك معه وتعجب به كما في «تحية المربي» يجلي ظلمات العقول ولا تمالك عن الإشفاق عليه في استعجاله الأيام لبلوغ «رأس الشهر» وإفنائه العمر بلا دراية في دوامة الضائقة المالية حرصا على الضرورات وبعض الكمالات.

لون طريف من الأدب هذا الذي يتحفنا به صديقنا الشاعر عبد المجيد شيبة في مجموعته الشعرية ألا وهو الأدب الهزلي المتأرجح بين الدعابة الحلوة والفكاهة المرة كما ألفناهما برواج كبير

(1) «بيت القصيد» ديوان شعر لعبد المجيد شيبه طبع بمطبعة «الهلال» بقصر هلال (طبعة أولى) جانفي 1981 في 90 صفحة

في العشرينات والثلاثينات بتونس عند حسين الجزيري وعلي الدوعاجي ومحمود بيرم التونسي وأضرابهم من ناظمي القصيد الفكاهي بالفصحى ومدبجي الزجل المازح بالدارجة ومحبري المقال الصحفي الساخر والهازل الناقد بخفيف النكتة ولطيف الملحة كما في صحف «السرور» و «السردوك» و «الشباب» و «النديم».

إنه أدب المرح والدعابة ومن ورائه جد كثير في أهازيج شعرية تصور لك - بإيقاع راقص - واقعا ينبغي تجاوزه كما في «بردة البراد» أو واقعـا حريا بأن يعتمد منطلقـا لآفاق تربوية جديدة كما في مقطوعة «كارماص».

هزل هو عين الجد بدون قصد تقرأه في منظومة «كارماص» الموحية بطريقة تدريس حية يحل بها المتعلم محل المعلم في القسم فينشط في الفصل ويساهم في الدرس بإشراف أنجب تلميذ في مناسبات غياب المعلم الرسمي عن القسم لأسباب شخصية ليست دومـا بقاهرة كما يوحي لك به القصيد.

وفي «بردة البراد» نقد ذكي لعادة تمكنت من قوم صاروا بها مجاذيب شرب الشاي أسراء البراد في كل حين وموضع:

وفي «منحة الإنتاج» تعبير عن خيبة أمل المربي الحالم بأن يرق عيشه بمنحة الإنتاج فإذا به يفاجأ بأنها لا تفي بأكثر من علفة الدجاج.. فتتصور المضاعفات الهزلية في ثنايا المقطوعه

و «قصة الخطوبة» موازاة بين عقليتين متضاربتين لجيلين متباعدين في السلوك متنافرين في عادات الخطوبة

والجهاز والزفاف وفيها تصوير لموقف فئة من مهنة تراجع عزها في نظرهم وهي مهنة التعليم لتغير الظروف الإجتماعية والإقتصادية وتبدل المفاهيم والمقاييس ولقلة المردود المالي لتلك المهنة على صاحبها . وهذا غرض من أهم الأغراض التي عالجها الشاعر في غير ما موضع من مجموعته بأسلوب فكاهي يمكنك اعتباره مزاحا أسود مر المذاق كما يبينه هذا البيت :

تلك كانت قصة فيها مآس وضحكت من أساها شبه مرغم

ومن درس الأصوات ينقلك الشاعر بلطف تحيل في مقطوعة «سيدتي» إلى هيام بالمعلمة فتنشرح وتبتسم ويوقفك في «حمى كرة القدم» على ما أنست سماعه في المناسبات وغير المناسبات من ثقافة قوم تجمعت معارفهم في الولوع بمشاهدة لعبة كرة القدم والسجال في نتائج المباريات فملأوا بذلك فراغهم الفكري والروحي فقال الشاعر في شأنهم :

إنشاؤهم كرة ونحوهم كرة والفكر راح بهم في كرة القدم

قد جاء ذكر لها بالآي في (كورت) فأين إيمانكم بكرة القدم

ثم تواصل السير في مطالعة المجموعة فتقرأ له بتلذذ «مذكرات رحلة» وتتساءل مع الشاعر هل هذه رحلة دراسة أم رحلة استجمام ؟ وفي الموازنة فكاهة تزداد نكهة بصرف الغزلين عن الحسان بوعظ يذكرهم بآي القرآن والزوجات والصغار المنتظرين عودتهم من تربصهم بالخارج .

وتستطرف في «القلم والسفود» موازنة فكاهية بين معلم منهمك في فلي الدفاتر وقطائري يقلي السفناج حتى إذا تضخم

التَّصْويرُ الكاريكاتوري لِهَذا وذاكَ وَامْتُهِنَتِ الصّناعاتُ كما في هـذا البيت :

فَمَنْ عَلَيْهِ دارتِ الدّوائـرْ فَحَسْبُهُ صِناعَةُ الفَطائِـرْ

تَعَاظَمْتَ الغُلُوّ وَرَفَضْتَهُ بابْتِسامٍ على مَضَضْ .

وَأعْجِبْ بِرَقْصٍ علىَ الطِّينِ في مَقطوعة «حَيّ الزّهْراء» ذي الطُّرُقات الوَحَلِيَّة التي لم تُسْعِفْها البَلَدِيّة بالتَّعْبيد إلى حُدود تاريخ نَظْم القَصيد في غُرّة أفريل 1975 فقال الشّاعِرُ يَهْجو المَجْلِسَ البلديّ بما يُشْبِهُ المَدْحَ على سَبيل التَّهَكُّم :

وَاذْكُرْ فَدَيْتُكَ فَضْلَ المَجْلِسِ البَلَدي

وَاهْتِفْ بِحَمْدٍ لَهُ بِالشكْرِ مَقرونِ

وَلاَ شَكّ أنّ الشّاعِرَ قَد اطْمَأنّ على طُرُقَات حَيِّه بَعْدَ ذلك التّاريخ . وَ «عُصْبانيات» عُنوانٌ طَريفٌ يُوحي بِأكْلَة واحدة شَهِيَّة مَا أعِدّتْ في بَيْتٍ بَلْ في مَدْرَسَةٍ انْقَلَبَتْ مَطْهى طُهَاتُهُ مُعَلِّمون ومُعَلِّمات تَبَارَوْا في تَصْنيفِ المَأدُبَةَ احْتِفاءً بِتَوْديعِ زَميلٍ لَهُمْ أجْنَبِيّ اسْتَعَدّ لِمُغادَرَتِهِم والالْتِحاقِ بِوَطَنِه .

وَيَبْقَى المَجَالُ لكَ واسِعاً لِمُطالعة أغْراضٍ أخْرَى مُتّصلة بحياة المُعَلّم في مَا تَبَقّى مِنَ المَقْطوعات . وفي المَجْموعة كُلِّها لَزِمَ الشّاعِرُ عَمودَ الشّعْرِ العَرَبِيّ مِنْ حيثُ الوَزْنُ والقافية كَما يُبَيّنُه قَولُـهُ :

مَفَاعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ   سَفِينَةٌ لاِنْتِقَالِ
إنْ مَاجَ بَحْرِي فَإنّي   عَلَى الخَلِيلِ اتِّكَالِي

وَيَعْتَرِفُ لكَ الشَّاعِرُ بِأنَّهُ صَانِعٌ في الشِّعْرِ يَعْتَمِدُ الدُّرْبَةَ في تَصْحِيحِ الوَزْنِ بِتَقْطِيعِ ما اسْتَعْصَى مِنْهُ في بعضِ الأبياتِ الى حدِّ الإنْفِعالِ بِما يُشْبِهُ تَقْطِيعَ شَعْرِ الرَّأسِ وَلا إخَالُهُ إلاّ جَادّاً وإنْ سَلَكَ سَبِيلَ المَزْحِ فَيَتَجَانَسُ مَفْهُومُ القَرِيضِ عِنْدَهُ بِتعريفِ الشِّعْرِ عند قُدامَةَ بن جَعْفَرِ النَّاقِدِ في «كتاب الشِّعر» وهو «كَلاَمٌ مَوْزُونٌ مُقَفَّى دالٌّ على مَعْنَى» «فَاكْتَشِفْهُ بِدَوْرِكَ على هَذَا النَّسَقِ بِمُطَالَعَةِ المَجْمُوعةِ الكاملةِ «بيتُ القصيد» . (2)

أحمد خالد

سوسة : 13 / 10 / 1980

يقـول الشَّاعـر :

هذه الأبياتُ قِيلَتْ في حَفْلِ التَّوديع الذي أقمناه بِمدرسة شارع الغزالي بسوسة في آخر ماي 1975 بمناسبة توديع السيد يُرمان «Uerman» عند انتهاء مهمته كمتفقّد تعليم اللّغة الفرنسية . وقد أقمنا مأدبة غداء ذات أكلة وحيدة هي (كسكسي بالعُصْبان) تمّ إعدادها في المدرسة من الأول الى الآخر بتظافر جُهود الزّميلات والزّملاء . وممّا يجدر ذكره أنّ جميع الأسماء والوقائع الواردة في الأبيات حقيقية لا دخلَ للخيال فيها . أمّا عنـوان الابيـات فهـو :

---

(2) طالع فيما يلي عينة بعنوان : « عصبانيات » من ديوان : « بيت القصيد » لعبد المجيد شيبه .

عصبانيات

حزين عليك اليوم قلبي أيرمان[1] ... ولكن بطني الآن يا صاح جذلان

أأبكي لتوديع وهذي عصابين ... لها من فنون السحر في الطعم ألوان !

حللت صباحا بالغزالي وصحبتي ... صوان وكسكاس وقدر وسخان

ودوارتنا ظان صغير فقيل لي : ... «زعيم ورب الناس، أنت وفنان»

فراحت سعاد في غسيل لفحتة ... توشى بفحواها على الفور فستان

وأم إسام ساعدتها عفيفـــة ... ففرت نصيب الإثنتين ومصران

ورحن يولدن جميعا لكرشة ... فجاءت بلا حمل بنات وصبيان

ويقطعن قلبا بالنصال وكبدة ... لقطعهما باللحظ كم ذاب إنسان !

ويحشون بعد القطع لحما وخضرة ... وفي الحشو فن للغواني وإتقان

فأقسمت : إن القسم مثل حضيرة ... وجعفورة بين الزميلات كبران

وكان نصيبي طحن قمح لكسكس ... فلا غرو إن قلتم : زميل وطحان

وأضرمت النيران بعد هنيهة ... لطبخ، وفي الأحشاء شوق ونيران

ونادى مناد : أن تعالوا لأكلة ... فحنت أنوف عند ذاك وأسنان

فهاتوا إلى الهادي(2) اثنتين فإنه ... وإن كان ذا جبن ففي الأكل طرزان

وأهدوا الى العفريت(3) ما طال مثله ... فعهدي به دوما بما طال هيمان

وهلا رفعتم يا رفاقي عصابنا ... على نخب من حنت للقياه أوطان

فخير ضمان للمودة كسكس ... إذا ما بنابيط علته وعصبان

وخير ختام في المجال دعاؤنا : ... «ألا يا غزالي عشت يحميك إخوان»

---

(1) المحتفى به كما اسلفنا .
(2) الزميل الهادى بالحاج على .
(3) الزميل على العفريت . وفى البيت إشارة الى البنابيط .

ضحك كالبكاء ..
أو
سأظلّ مسكونًا بفرحة الأحزان !

شعر : أبي وجدان

أجيئكَ أحملُ همّـا شكاني لأمّـي ..
وهمّا شكاني لمنْ لا يهمّهُ همّـي ..
وهمّا شكا لي من القوم .. ماذا سأفعلُ والقومُ قومي ؟ !
ضحكتُ مع الضاحكينَ لنا .. يضحكونَ .. وكم ضَحِكوا اليوم منا إلينا !
وتضحكُ يا أنتَ لي بمعونة من قد بكانا .. وأنتَ أما جئتَ تبكي علينا ؟ !
فما أغرب الضاحكينَ بدون شفاهْ !
وما أسفه الدمعَ من أعين لا جفون لها كالمتَاهْ !!
صَحَارَى الدموع رِمَالٌ وليستْ مياهْ .
ومازلتَ تضحكُ .. تضحكُ حتى استحالَ منَ الضحكِ الدمعُ جدّ سخيا .
فما اعوجّ منك رأيته يهزأ .. لكن بماذا ؟ بما كان منّا سويّا !!
أيضحكُ فيكَ فمّانِ وتبْكي بعينٍ يتيمهْ ؟ !
بكاؤكَ أعورُ .. أعورُ ، فالضحكاتُ دفوفُ الهزيمهْ !
ومن عينيكَ الضحكاتُ تدلّتْ وفي جيدها آلةٌ للجريمهْ !
أأُلجمُ في شفتيَّ بكاءً ؟ وهل تستطيعُ الشفاهُ تُقطّعُ حبل الشكيمهْ ؟
فلا أنتَ تضحكُ ملءَ وجودي ، ولا أنا أبكي انتفاعكَ منّي مليّا ..

ولكن كلانا يمثلُ دورَ المشعوذِ حيثُ ادّعى أنّهُ صار فينا نبيّـا ::
وتبكي شفاهي عليكَ فيضحكُ سمعكَ ضَحْكا غبيًّا غبيًّا غبيّا .
عجبتُ لأذْنِكَ حين تُنازعني كلّ مستقبلي ثمّ ترفضُ أمسي !
أتنقلبُ الآن فينا المسامعُ ؟ تصبحُ ريحُ السرورِ عواصفَ بؤسِ ؟
وأحزانُ أمّي تعبّرُ عن فرحةٍ سكنتني كما يسكنُ الهمُّ رأسي ؟
هو الهمّ ينبعُ من ظلمتي فيغيّرُ وجهةَ فجري ..
وأجري وراءكَ يا فجرُ ، يالوْ تصيرَ ورائي تجري .!
وما أجملَ الجري خلفكَ يا فجرْ . !
وأجملُ منهُ التمادي ورائي تجري . !
وأغمضُ عينًا وأفتحُ أخرى على سبخةٍ شَجّرتها العوادي ::
تناقضَ في رؤيتي ما يراه سواي تجانسَ في زحمةِ الإعتيادى
وأدخلُ في زحمةِ الكونِ وحدي حتى ...
يُداخلني الكونُ منْ ملكوتِ انفرادي
وأخرجُ من ملكوتي لأدخلَ في الكونِ .. أدخلُ حينَ ينادي :
«المبادي .. المبادي .. المبادي ..» فأينَ المبادي ؟
ولا شيءَ أبصرُ ممّا ينادي به كلَّ شيءٍ ..
ولكن أراني وحيدًا أنا سامعٌ والمنادي ::
فهلْ سمعَ الصمُّ صوتي ؟ وهل فضحَ الصوتُ منّي قرارةَ صمتي ؟
علامَ إذنْ ضحكوا ؟ هل تبرّجَ في سمعهم حائطُ الأنسداد ؟
فلا ضحكٌ كالبكاء يعادلُ همّك أمّاهُ حين تصيرُ القيادةُ في همة الإنقياد !
وأرتاحُ للهمّ أحملهُ اليومَ عنكِ كأنّه حملي .. منِ الحاملُ ؟
لماذا رأيتك ــ لاحملَ يثقلُ ظهركِ ــ تمشينَ والرّأسُ نحو الثرى سافلُ ؟!
وهذا انحناؤكِ أمّاهُ أصبحَ شغلي ، هو الشاغلُ !
عجبتُ لصدركِ بالثلجِ يغلي ! فماذا سيفعلُ صدركِ لو أنّهُ الشاعلُ !

عجبتُ لأذنكِ لم تكتسحْها صُرُوخُ التتار تُصَمّْ !
هل الصممُ اليومَ معناهُ صارَ : نَعَمْ ! ؟
عجبتُ لعينكِ صاحية ، والجبينُ ادْلَهَمّْ !
هل العينُ تضْحكُ منْ كثرةِ الهمِّ منْ غيرِ فَمْ ؟
عجبتُ لكِ الآنَ آخر أمري .. ولا أمرَ عندي أهَمّْ . !
سوى أن يظلَّ الأهمّ وليدَ المُهِمّْ ..
سوى أن تصيرَ همومي وساماً على صدر أمي ..
ولو تستعدّ كما الأخرياتِ لظلمي !
فقد تظلمُ الأمّ طفلا تجاوزَ بالحلم يوما شقيقهْ ..
دعيني أجابهْكِ أمي وقوْمي برهجِ الحقيقهْ ..
بأنيَ أرفضكمْ نائمين .. وأرفضُ منْ نامَ حتى أُفيقهْ ..
وأرفضُ أن تصبحَ الضحكاتُ بكاءَ
وأرفضُ أن يصبحَ اليوم معنى الوقوف اتكاءَ
وأرفضُ أن يصبح الانتماءُ ارتماءَ
وأرفضُ .. ماذا سأرفضُ غيرَ التأدلج باسمِ النجومِ .. ؟
فلو صار رفضيَ يأخذُ شكل النجومِ أعتّمهُ بالغيومِ ..
وأوصيه بالأنحياز إلى سبخةِ الملح في مستوى شهداء «السّجومي» .
وأعلمُ أنّي أكونُ بوجهي الحقيقيّ إن كانَ يحملُ كلّ همومي .
وأضحك ملءَ دموعي لتنبُتَ مني على الخدّ .. مزرعةٌ للتحدّي .
وأرفضُ أنّي أنامُ مخافةَ أن يحفزَ النومُ شكلَ التردّي ..
هو الدّمعُ في يقظةِ العين أمجدُ من ضحكةٍ في الكرى أقسمتْ : أن تكونا !
أما أغمض النوم عينيك أماهُ حتّى ..
تمنيتُ أن يحصدَ اللهُ منك الجفونا ؟
وأن يخرجَ الطفلُ من موقعٍ تقفُ الأمّ حيثُ اكتفى الناقصونا ..

فكيفَ تكونُ الريادةُ يا أمـة كلّ قطـرٍ به ألفُ سجنٍ ؟
وقد يصبحُ الرائدونَ به ذاتَ يوم زَبـونَـا !
ففي كلّ ركن قواريرُ تجمعُ فيها الأظافرُ .. قلبُ الكلاليب صار حنونا ..
وما حنَّ قلبُ الكلابِ .. هو العقلُ إن يتكالبْ يضاهِ الجنونا
وحينَ تقلّ الكراسي..أتصبح حتى القواريرُ-أيضا لأجل الكراسي-كراسي؟
وتصبحُ أعضاءُ أمّـي خناجـرَ . ! تمسي أظافرها كالمَواسـي ؟ !
وكلّ المدارسُ تصبحُ.. كلّ المسارحُ تصبحُ.. كلّ المصانعُ تصبحُ أيضًا سجونا ؟
فـلا كنتَ يا وطنا «باسم ماذا ؟» تقومُ القواريرُ فيكَ تسُدّ البطونا ! !
زبانيةَ القهرِ ، هذهِ أختٌ لكمْ أحرقتْ شفتيهـا السّجائرُ .. وآهِ عليهـا !
رمـادُ السجـائرِ يُنفـضُ في منخـريهـا !
يشـلُّ التّنفـسَ في رئتيهـا !
تنفّسُهـا قد يلوّثُ صفوَ الهـواءِ الـذي تَنشقـونَا ..
لماذا تُقاسطُكمْ في الهـواءِ ؟ وأنتمْ رجـالٌ تمـدّونَ ..
أياديكمْ تمسحونَ الذقـونَـا !
أمَا قيلَ لي : عهـد خيرٍ وأمنٍ ! وقـد كـدتُ أقسمُ قبـل الـذي..
كانَ .. أنْ : لنْ يكونا !
أمًّا أذَّنتُ فيه تلكَ الدجاجةُ .؟ هل تسمعونا؟
لعلّ أذانَ الدجاجةِ كان ليحجبَ صوتَ الجريح يدقّ السّجـونَـا .!
فمن يعجـنِ الخبـزَ بالجرح يأكلْ معَ الخبـزِ قيـحا .. صديدًا !
ومنْ يختنق اليومَ بعضَ العصافيرِ يسمعْ منَ الشدو قـدحـًا شديدًا .!
ولا شيءَ أماهُ غيرُ السّماح يعوّضُ كلّ الخسارةِ ربحـًا مجيدًا .
وقد طلعَ اليومَ صبحٌ جميلٌ.. جميلٌ ..
وما فتىءَ الشعبُ يُطلعُ صبحا ويصنعُ صبحا وصبحا جديدًا :

ابـو وجـدان

الظرف بالحجاز في العصر الأموي

بقلم : البشير المجدوب

* (5)

لم تكن مشاركة الشعراء فـي نشأة الظرف بالحجاز متمثلة فى اناقة الزى وحسن المظهر ولطف الشمائل وآداب السلوك ولا حتى فى خفة الروح وحذق فن التندر بقدرما كانت تتمثل فى الجانب الادبى الفنى من الظرف ، وقد كان لهم فى هذا المجال أبعد الاثر اذ ساهموا مساهمة كبرى (لا يدانيها الا اسهام المغنين) فى اذكاء حساسية القوم وتغذية عواطفهم وتهذيب أذواقهم ولا سيما فى نطـاق النوادى والمجالس الادبيـة الفنية ، وذلك بفضل ما امتازوا به من ذوق وابداع .

الذوق الفنـي عند الشعـــراء :

الشعــر ـ وكـذا الفن عامـة ـ هـو أساسا طبع ثم صناعة أى تصفح جـاد للآثار الشعرية الممتازة ، وممارسة دائبـة للقريض بغية الاقتداء بالفحـول من الشعـــراء أولا ، ثم منافستهم والخروج عليهم بانتهاج مذهب خاص مستقـــل يبتكر ابتكارا .

على أن للظروف الاجتماعية أثرا كبيرا فى توجيه قريحة الشاعر وتحديـد مذهبه الشعرى ، فضلا عما لها من دعم وتوكيد واخصاب او عرقلة لطبيعتـه الفنيــــة .

لقد كـان الوضع الحضارى الجديد في الحجاز فتحا علـى مستوى الفكـر أجمـع ولا سيما الشعر ، فازدهـر خاصة فى مكة ، وشـب بيـن قريش مـن الشعـــراء افذاذ ذاعت قصائدهم وزادها شهـرة وانتشارا ترددها على أفـواه المغنيـــن .

---

* تابع لما نشر فى مجلة الفكر ع 10 س 25 جويلية 1980 .

لم يكن بمكة في الجاهلية شعراء معدودون وإذا هي ـ بفضل هذا التحول الحضاري وتزعمها لحركة التجديد في الشعر ـ تحظى بالصدارة وتضحي مركزا أدبيا قوى الاشعاع .

لقد سبق ان قلنا ان العوامل الحضارية الطارئة في الحجاز ـ من ثراء وفراغ وأمن واستقرار واتصال بالاعاجم العريقين في الحضارة ـ قد أثرت في حياة الناس تأثيرا عميقا .. تأثيرا بلغ أحيانا من العمق حدا يصح القول معه انه حول نقطة ارتكاز الشخصية الحجازية واعطاها وجهة جديدة ، فانصرف الناس الى الاستمتاع بطيبات الحياة ، وعنوا باللهو شعرا وغناء ومزاحا .

والشعراء (وكذلك المغنون) بطبعهم وبحكم حساسيتهم المرهفة ونمط حياتهم الخاص أشد الناس تأثرا بهذه البيئة الجديدة ، وأكثرهم تجاوبا وتفاعلا معها .

وكان من أثر هذه البيئة المترفة اللاهية ان ضاعفت ما خص به الشعراء من حس جمالي فهاموا بالحسن في شتى صوره هياما ، واروع الحسن عندهم حسن المرأة فانهمكوا في عشقها ، كل على طريقته ، دون مبالاة بما يعترض طريقهم من عوائق ومخاطر ، قد هانت في سبيل الحب الانفس واثمن ما يعتز به وجوه القوم يومئذ من منزلة وجاه .

وبلغ الولع بالجمال وسلطان الحب على النفوس مبلغا أصبح الشعراء معه ـ بعض الشعراء على الاصح ـ ينظرون الى الحياة نظرة جمالية صرفا تتسم عند بعضهم بوعي واضح دقيق ، فروعة الحياة عندهم وفتنتها وقيمتها ومعناها فيما تنطوي عليه من جمال سواء كان مصدره الفن او الانسان .

جاء في الاغاني : « قال مصعب بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وأخي عثمان الى مكة معتمرين او حاجين ، فلما طفنا بالبيت مضينا الى الحجر نصلي فيه ، فاذا شيخ (عمر بن أبي (ربيعة) قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال : من أنتما ؟ فاخبرناه فرحب بنا وقال : يا بني أخي، **اني موكل بالجمال اتبعه ، واني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما . فاستمتعا** بشبابكما قبل أن تندما عليه ....» (1) .

---

(1) الاغاني المجلد الاول (القسم الاول) ص 63 . دار الفكر . دار مكتبة الحياة الطبعة الثانية بيروت 1955 .

وجـاء أيضـا : « ... ان عمـر بن أبى ربيعة كان يساير عروة بن الزبيـر ويحادثه فقال له : وأين زين المواكب ؟ يعنى ابنـه محمد بن عـروة ، وكـان يسمى بذلك لجماله . فقال لـه عروة : هو أمامك ! فركض يطلبه ، وقال لـه عروة : يا أبا الخطاب اولسنا أكفاء كراما لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بلى ـ بأبى أنت وأمى ـ **ولكنى مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان** ؛ ثم التفـت اليـه وقـال :

انـى امـرؤ مولـع بـالحسـن أتبعـه
لاحظ لـى فيـه الا لـذة النظـر » (2)

وهناك خبر آخـر يتصـل بالشاعر الحارث بن خالد المخزومـى أبلـغ دلالة علـى هذه النظرة الجديدة الـى الحياة وادق تعبيرا عنهـا ، فلقد قـرن الحارث بين الحياة والفن ورأى فى الجمال جوهر الحياة .

قال مخاطبا الغريض وقـد طرب لغنائه : « ... يـا غريض لو لم يكن لـى فى ولايتى مكة حظ الا أنت لكان حظا كافيا وافيا ! يا غريض انما الدنيا زينة فأزين الزينة ما فرح النفس ، **ولقـد فهم قدر الدنيا على حقيقتـه من فهم قدر الغنـاء !** » (3) .

وقـد يشتد الكلف بالحسن عنـد بعضهم فيلتقـى الحس الجمالـى بالروح الدينى ويمتزجـان ، واذا الحب ضرب من العبادة واذا العاشق ، وقـد أخذه الوجد ، فى حال أشبه بحال المتصوفة ، أعجب به من متصوف استخفه الطرب فانطلق لسانه بالتجديف ! .

جاء فى الاغانـى « ان الثريا واعدت عمر بن ابى ربيعة أن تزوره ، فجـاءت فى الوقت الذى ذكرته ، فصادفت أخاه الحارث قد طرقه وأقام عنده ، ووجه به فى حاجة له ، ونام مكانـه وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعـر الا بالثريـا قد ألقت نفسها عليـه تقبله ، فانتبه وجعل يقول : اغربى عنـى فلست بالفاسق أخزاكما اللـه ! فلما علمت بالقصـة انصرفت ورجع عمـر فأخبره الحـارث

---

(2) الاغانى المجلد الاول (القسم الثانى) ص 116 .
(3) الاغانى م 3 (القسم الثالث) ص 208 .

بخبرها ، فاغتم لما فاته منها وقال : **أما والله لا تمسك النار ابدا وقد ألقت نفسها عليك !** فقال له الحارث : عليك وعليها لعنة الله » (4) .

ويطغى عشق الجمال والانس بالمراة أحيانا ، فيعترض العاطفة الدينية ويعرقلها منافسا اياها ، مستأثرا بنفس الشاعر دونها ، وقد حرص الشاعر ذاته على خلوص نشوته من الشوائب،أيا كانت،يريدها ذكرى تنطبع في النفس صافية فتبقى غضة مشرقة على مر الايام لا تمسها يد الفناء أبدا .

يقول صاحب الاغاني : « ... اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة : أنا لكن به فبعثت اليه رسولا ... فوافاهن على رواحله ، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن : والله اني لمحتاج الى زيارة قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في مسجده ، **ولكنني لا أخلط بزيارتكن شيئا ..** » (5)

وقد يقترن الطرب للحسن والاعجاب بالفن فيتحدان ويستحيلان عاطفة ود وصداقة .. رباطا نبيلا يصل بين شاعرين التقيا عرضا ، وكأن بينهما لحمة من قبل وقرابة ، فيأنس بعضهما بالآخر .

« رأى عمر بن أبي ربيعة رجلا يطوف بالبيت **قد بهر الناس بجماله وتمامه** فسأل عنه فقيل له : هذا مالك بن أسماء بن خارجة فجاءه فسلم عليه وقال له : يا ابن أخي ، **ما زلت اتشوقك منذ بلغني قولك :**

ان لي عند كل نفحة بستا ... ن من الورد أو من الياسمينا

نظرة والتفاتة أتمنى ... أن تكوني حللت فيما يلينا » (6)

ويبلغ الشاعر مرحلة الشيخوخة وتضعف قواه على ان « في الجسم نفسا لا تشيب بشيبه » فالروح فتى ، والقلب أخضر ريان ، لا يزال يهفو الى الحسن ويتحرق عليه .

---

(4) الاغاني م 1 (القسم الثاني) ص 165 ـ 166 .
(5) الاغاني م 1 (القسم الاول) ص 82 .
(6) الاغاني م 1 (القسم الثاني) ص 116 .

جاء في الاغانـي : « كنت مع عمر وقد أسن وضعف ، فخرج يوما يمشـي متوكئا على يدي حتى مر بعجوز جالسة فقال لي : هذه فلانة وكانت الفا لـي فعدل اليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيهـا :

ابصرتهـا ليلـة ونسوتهـا يمشين بيـن المقام والحجـر

قال : وجلس معها يحادثها . فاطلعت رأسها الى البيت وقالت : يا بناتـي هذا ابـو الخطاب عمر بن أبي ربيعـة عندي ، فان كنتـن تشتهين أن ترينـه فتعالين . فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها ، فجعلن يثقبنـه ويضعن أعينهن عليه يبصرن ، فاستسقاها عمر . فقالت له : أي الشراب أحب اليك ؟ قال : الماء . فأتي باناء فيـه ماء ، فشرب منه ثم ملأ فمه فمجـه عليهن وفي وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجواري وتهاربن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز : ويلك ! **لا تدع مجونك وسفهك مع هذه السن ؟ فقال : لا تلوميني فما ملكت لما سمعت من حركاتهن ان فعلت ما رأيت** » (7) .

وبديهـي أن هذا الميل الى تعشق الجمـال ما كان ليبرز بمثل هذه القوة والاندفاع لولا تفتح البيئة الاجتماعية ، ولا سيما المرأة بحبها الشديد للغـزل ورغبتهـا الملحة في التشبيب . ومما لا شك فيه أن هذا التجاوب والتعاطف من قبل الجمهـور عامـة والمرأة خاصـة قد استفز قرائح الشعراء وأخصـب الهامهم وهذب أذواقهم وكان من أقوى الدواعي الى الاجادة والابتكار .

كانت جميع الظروف المناسبة لازدهار الادب والفن قد توفرت ، سواء منها المـادية أو الاجتمـاعية ، بحيث أصبح الشاعر في هذه البيئة « كالسمكـة في المآء » طلاقة وانسجاما .

وقد وجد الشعراء عند الجمهور الذواق ، من أعيان القوم وفضلائهم خاصة ، من التفهم والعطف والعون والتأييد ما جعلهم يتشبثون بحرية القول .. حقـا مشروعا لكل فنان لاحياة للفن بدونـه ، فازدادوا ايمانـا بأنفسهـم واعتدادا بأدبهم ، فاستطاعوا بذلك أن يتحدوا الموانع والقيود ، ويواجهوا دون تهيب تنديد المخافظين المتزمتين .

---

(7) الاغاني م 1 (القسم الثاني) ص 128 .

جاء في الاغاني « بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين حتى دخل وجلس . فأقبل عليه ابن عباس : فقال : أنشدنا . فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا ابن عباس ، انا نضرب اليك اكباد الابل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيخزى وأما بالعشي فيخصر

فقال : ليس هكذا قال : قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فقال : ما أراك الا قد كنت حفظت البيت ! قال : أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك اياها ... قال: ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة فقال: انا نستجيدها ... فكان ابن عباس ، بعد ذلك ، كثيرا ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئا بعدنا ؟ » (8) .

ومن أبرز أنصار الشعراء (والمغنين) وأكثرهم تفتحا للفن وطربا له ، وأوفرهم بذلا لمختلف أنواع المساعدة والمواساة لهم ـ مادية كانت أو معنوية وحتى العاطفية ـ شخصية عرفت بالصلاح والذكاء وجودة الثقافة ، فزاد . ذلك في نجاعة مساعيها الرامية الى حماية الفن ونصرته ، وساعد على غلبة نزعة التحرر والتجديد على نزعة المحافظة والجمود . انها شخصية ابن أبي عتيق حفيد الخليفة أبي بكر الصديق أكبر صديق للشعراء والمغنين ، ولقد بلغ من عطفه على الشعراء أنه أصبح ، مع عفافه وتقواه وعلو منزلته في المجتمع

(8) نفس المصدر م I (القسم الاول) ص 60 ـ 61 .

يتوسط في غير تورع ولا تحرز بين الشعراء وحبيباتهم اكبارا للشعر وايمانا بقيمته ، ووعيا لعظم خطورته فـي الحياة الاجتماعية ، وكانه يريد بفعلـه هذا أن يذكي شعلة الفن ويضمن لها النماء والاستمرار .

« انشد ابن أبي عتيق قول عمر ابن أبي ربيعة

من رســـولي الـى الثريـا فانـــي
ضقــت درعـــا بهجـرهـــا والكتاب

فقال ابن أبي عتيق : اياي أراد وبي نوه ! **لاجرم واللـه لا اذوق اكلا حتـى اشخص فأصلح بينهمـــا ..** » (9)

وان صداقته لعمر ونصرتـه لشعره لهي عن وعي تام بما فيه من اباحيـة يقرها في الادب ولا يقرهـا فـي الحياة ، لان صاحب الذوق فيـه ، البصيـر بطبيعـة الأدب وخصوصيته لا يرى باسا في تحرر الفن ـ الـى حد مـا ـ من الاخلاق ، فهناك ، أعنى في هذا التحرر وما يترتب عليه من جرأة وصراحـة ، روعته وقيمته و (مبرر) وجوده وجدواه .

جاء في الاغانـي : « ذكر شعر الحارث بن خالد وشعـر عمر بن أبي ربيعـة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام ، فقال صاحبنا ـ يعني الحارث بن خالد ـ أشعرهما ! فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابن أخي ! لشعـر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر ، **وما عصى الله ـ جل وعز ـ بشعر أكثر مما عصى بشعر ابن أبي ربيعة** ، فخذ عني ما أصف لـك : أشعر قريش من دق معنـاه ولطف مدخله ... » (10) .

وثمة عامل آخر لا يقل تأثيرا وجدوى عن تشجيع الجمهور الواعـي الذواق هو المجالس والنوادي الادبية الفنية ، وقد ساهمت مساهمة فعالة في تهذيب ذوق الشعراء واستنشاط قرائحهم . وهذه المجالس والنوادي منازل ودرجات تختلف ويتفاوت مستواها ، ومن ثم جـدواها ، بحسب شخصية الحاضريـن

(9) نفس المصدر م 1 (القسم الثانـي) ص 160 .
(10) نفس المصدر م 1 (القسم الاول) ص 84 .

فيها وحظهم من « الثقافة » الشعرية ومدى تفتحهم وبعدهم عن التحيز والتعصب .

فمن هذه المجالس ما يجتمع فيه الشعراء للمباراة فيسعى كل جهده للاجادة والتفوق ، فاذا هي فرصة يثبت الشاعر فيها شخصيته الفنية ، ويفرض طريقته الخاصة ، متحررا من قيود المحاكاة والتقليد ، التزاما للصدق وحرصا على تصوير تجربته الحية .

يقول أبو الفرج : « ان عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وابن أبي أخت الحارث بن خالد خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية ، فلما انصرفوا نزلوا بسرف ، فلاح لهم برق فقال الحارث : كلنا شاعر : فهلموا نصف البرق ! فقال أبو ربيعة :

أرقت لبرق آخر الليل لامع
جرى من سناه ذو الربى فينابع

فقال الحارث :

أرقت له ليل التمام ودونه
مهامه موماة وأرض بلاقع

فقال المخزومي :

يضيء عضاه الشوك حتى كأنه
مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر :

أيا رب لا آلو المودة جاهدا
لاسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال :

مالي وللبرق والشوق ! » (11) .

---

(11) نفس المصدر م 1 (القسم الثاني) ص 121 .

وثمة نوع آخر من الجلسات واللقاءات تنطوى التعاليق فيها على نواة من النقد الا أنه نقد ذاتي مغرق في الذاتية الغرض منه تعيين الشاعر الافضل بل والبيت الافضل في مختلف فنون الشعر دون ما ينبغى لذلك من الاحاطة والشمول ودقة الدرس والتحليل وهذا النوع من المناقشات الذى قد يؤول أحيانا الى أحكام مجانية لهيمنة روح التعصب والتحدى عليها أصبح سنة متبعة بين الادباء وطريقة تقليدية في تصفح الشعر وتقويمه نجد أثرا منها في مؤلفات كثيرة من نقاد العصور التالية... مثل هذه المناقشات على ما فيها من سلبية لا تخلو من فائدة لانها تساعد على اجتلاء خصائص الشعراء ومواطن الاحسان والابداع في شعرهم : كما أنها بعرضها لنماذج مختارة من أشعارهم توجه النظر الى جانب الجودة والروعة فيها فتمهد بذلك للنقد الحق ، فضلا عن كونها وسيلة امتاع تغذى الشعور وتشحذ الذوق .

جاء في الاغانى : « ... قيل لكثير : ما أنسب بيت قلته ؟ قال : الناس يقولون :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وانسب عندى منه قولى :

وقل أم عمرو داؤه وشفاؤه لديها ورياها اليه طبيب » (12)

ويقول أبو الفرج : « .. قيل لمحرز بن جعفر : أنت صاحب شعر ، ونراك تلزم الانصار ، وليس هناك منه شيء ؟ قال : بلى والله ! ان هناك للشعر عين الشعر ! وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذى يقول :

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه
وذلك حين الفاجعات وحينى
لعمرك انى ان تحم وفاتها
بصحبة من يبقى لغير ضنين

(12) نفس المصدر م 4 (القسم الثانى) ص 115

وهو الذى يقول :

وانـى لمكـرام لسادات مـالـك
وانـى لنوكـى مالك لسبـوب

وانى على الحلم الـذى مـن سجيتى
لحمال أضغـان لهـن طلـوب » (I3)

ثمة نوع ثالث من النوادى والمجالس أرقى مستوى واوفـر نفعا للشعـراء وللجمهور الادبى كله لانه اوثق صلة بالذوق الفنى وأعظم أثرا فيه .

وتتمثل هذه المجالس فى كونها ملتقى ممتازا يضم نخبة من الشعراء وأهل الذوق والبصراء بالشعر المتعشقين له والموثوق برأيهم ، فيجد فيه الشاعـر اطارا أشبه بالمرآة يشاهد بها شعره على حقيقته ، وقد وقف على مسافة منـه يراه أو يكـاد يراه بأعين الآخرين ، فيمكنه فى حال التجـرد أو شبه التجرد هذه ، وقد ازداد بصيرة وصفاء ذهن ، أن يختبر وقع فنه ويقيس مدى توفيقه ، ويستبين ـ من خلال هـذا الاستجواب الصامت والاستشارة غيـر المباشرة وبفضل المقارنة باشعـار نظرائه ـ خصوصية أدبه وجوانب القوة والضعـف فيه ، فيتلافى النقص ويلزم طريق الاحسان ، ويستشف لـه أيضا أن يـدرك وزنه الفنى والمكانة التى له أن يدعيها بين سائر شعراء عصره .

جاء فى الاغانى : « أنشد كثير ابن أبى عتيق كلمته التى يقول فيها :

ولست براض من خليل بنائـل   قليل ولا أرضى له بقليل

فقال له : **هذا كلام مكافـىء ليس بعاشق ! القرشيان اقنع وأصدق منـك ،**

ابن أبى ربيعة حيث يقـول :

ليت حظـى كلحظـة العيـن منهـا
وكثيـر منهـا القليـل المهنـا

(I3) نفس المصدر م 4 (القسم الثانى) ص III

وقولـه أيضـا :

فعـدى نـائـلا وان لـم تنيلـي

انـه يقنـع المحـب الرجـاء

وابن قيس الرقيات حيث يقـول :

رقى بعيشكـم لا تهجرينـا　　　ومنينـا المنـى ثم امطلينا
عدينـا فـى غد ما شئـت إنا　　　نحب وان مطلـت الواعدينـا
فامـا تنجزى عدتـى وامـا　　　نعيش بمـا نؤمل منك حينـا »

وفى خبر آخر ذكره راوية كثير قال : كان كثير مديونا ، فقال لى يومـا ونحن بالمدينة اذهب بنا الى ابن ابى عتيق نتحدث عنده ؛ قال : فذهبت اليه معه ، فاستنشده ابن أبـى عتيق ، فانشده قوله : «أبائنة سعدى نعم ستبين» حتى بلغ الى قولـه :

وأخلفن مبعادى وخن أمانتـى　　　وليس لمن خـان الامانـة ديـن

فقال لـه ابن ابى عتيق : أعلى الامانة تبعتهـا ؟ فانكف واستغضب نفسـه وصاح وقـال :

كذبن صفاء الود يوم محلـة　　　وانكدتنى مثل وعدهن ديـون

فقال له ابن أبى عتيق : **ويلك هذا أملح لهن وأدعى للقلوب اليهن ! سيدك ابن قيس الرقيات كان أعلم منك وأوضح للصواب موضعه فيهن** ؛ أما سمعت قولـه :

حبـذاك الدل والغنج　　　والتـى فـى عينهـا دعج
والتى ان حدثت كذبت　　　والتى فـى وعدها خلـج
وترى فىالبيت صورتها　　　مثلما فى البيعـة السرج
خبرونى هل على رجل　　　عاشق فـى قبلـة حـرج

قال : فسكن كثير واستحلى ذلك ، وقال : لا ! ان شاء الله ؛ فضحـك ابن أبى عتيق حتى ذهب به » (15) .

---

(14) نفس المصدر م 4 (القسم الرابع) ص 321 .
(15) الاغانى ج 1 ص 356 – 357 – ابن محرز – دار الثقافة بيروت .

« ونقد » ابن أبي عتيق ، كما نرى في هذه الاخبار ، يقوم على خبرة بالنفس الانسانية ، ومعرفة بطبيعة الحب وخصائص أحوال المحبين فهو اعتمادا على هذا المنطلق النفساني ، يدعو الشعراء الى التزام الوفاء لحقيقة الحب (وقد عبر عن ذلك بكلمة صدق،) ومراعاة « منطق العواطف » .

وتقتضي طبيعة الحب وسنته التفاوت بين الحبيبين لا (التكافؤ) في طلب أحدهما للآخر والحرص على الاتصال به . ويترتب على هذا خضوع المحب لحبيبته ووقوفه موقف الطاعة والتوسل والضراعة . وموقف الضراعة ازاء المعشوق صفة محمودة ليس بها في عرف الحب من هجنة ، ولا يرى العاشق بها بأسا ، فتجده يشقى وينعم بها معا ،ولا يتورع من ذكرها .

الى هذه الحقيقة عينها نبه ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة اذ قال له بعد أن أنشده قوله :

بينما ينعتنني أبصرنني
دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى : أتعرفن الفتى
قالت الوسطى : نعم ! هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر

أنت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك . كان ينبغي ان تقول : قلت لها .. فقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت عليه » (16) .

ومن خصائص الحب الصادق القناعة ، فالقليل في الحب كثير ، وهذا ما يرمي اليه ابن أبي عتيق في تعليقه على شعر كثير : « **هذا كلام مكافىء ليس بعاشق** ، القرشيان **أقنع** وأصدق منك » (17) .

---

(16) نفس المصدر م 1 (القسم الاول) ص 92 .

(17) ليس نقد ابن أبي عتيق مقتصرا على التذكير بحقائق النفس البشرية وسننها بل يتناول المعاني أيضا من حيث صحتها وسدادها ، ووجوب سلامتها من الشبهة أو الاحالة والتناقض . جاء في الاغاني : « .. أن ابن أبي عتيق انشد قول ابن قيس الرقيات :

جانب آخر من « نقد » ابن ابى عتيق . وفيه يتجلى نفتحه وادراكه لجوهر الفن وحقيقتـه ، عدم تحرجـه مما فى شعر الشعـراء من نزعة تحررية ازاء الضغوط الاخلاقية .

فهو يعرف ـ مع صلاحه وعفافه وتقواه شأنه فى ذلك شأن ابن عباس وعبد اللـه بن جعفر ومصعب بـن الزبيـر وغيرهم ـ بحدسه وذوقه الاصيل أن لا حياة بغير فن ولا فن دون حرية ؛ هذه الحريـة هى الثمن الذى ينبغى للمجتمع أن يؤديه اذا شاء أن يكـون بينـه أفراد مبدعون يعبرون عـن روح الجماعـة وشخصيتها ، ويعملون على ابراز اصالتها ودعمها ، ويضمنون بذلك وحدتهـا وتماسكهـا وقدرتهـا على التحدى والاستمـرار ، ولامـر مـا قال القدامـى : **الشعر ديوان العرب .**

والشعر عند ابن ابى عتيق ، كما رأينا ، **ليس ترفا .. سحرا مجانا .. مجرد تسلية** ، انـه صدق فى تصوير النفس الانسانية وكشف لاسرارها وتبصير **بحقائقها** ؛ لذا وجب التفريق بين واقعين متمايزين متباينين **على ما بينهما من** نسبة وقرابة .. واقع الفن وواقع الحياة ، فلكل خصائصه وشروطه **وقوانينـه**

ومن أهم العوامل التى ساعدت على فتق قرائح الشعراء واذكاء حساسيتهم وتهذيب أذواقهم وبعثهم على الاجادة والابتكار وتوكيد صفـة **الظرف فيهـم** الغنـــاء .

تقدت بـى الشهباء نحو ابن جعفـر سواء عليها ليلها ونهارها

قال ابن ابى عتيق لعبد الله بن قيس الرقيات وقد مر بـه فسلم عليـه فقال : وعليك السلام يا فارس العمياء ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد بأبى أنت ؟! قال : أنت سميت نفسك حيث تقـــول :

تقدت بى الشهباء نحو ابن جعفـر سواء عليها ليلها ونهارهـا

فما يستوى الليل والنهار الا على عمياء ؛ قـال : انما عنيت التعـب ؛ قال : **فبيتك هذا يحتاج الـى ترجمان يترجم عنه .** » م 4 (قسـم رابـع) ص 315 .

والغناء في صورته التي عرف بها (18) في تلك الفترة هو الحادث البدع الذي لم يسبق للعرب ان عرفوا مثله ، وكان بمثابة الاكتشاف العظيم بهر النفوس وهزها هزا واستهوى القلوب طربا وفتنة ، فاولع به الناس كافة وكان أشدهم حرصا عليه وشغفا به الشعراء .

وبلغ من افتتان بعضهم بالغناء وعمق انفعاله به وحسن تذوقه له ووعيه البصير بحقيقته وشرف فضله ان اعتبره ذروة الفن وخلاصة نعيم الحياة مفضلا اياه على الشعر (19) ، وقد رأى في تذوق الغناء ومعرفة قدره مقياسا للادراك الصحيح لمعنى الحياة وقيمتها .

قال الحارث بن خالد المخزومي للغريض معبرا عن اعجابه بفنه : « ... يا غريض ، انما الدنيا زينة ، فأزين الزينة ما فرح النفس ، **ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء** » (20) .

وهكذا يكون الغناء تجربة فذة ممتازة كشفت لنخبة من الشعراء عن أبعاد مجهولة في نفوسهم وكأنما أضافت أوتارا جديدة الى حساسيتهم الفنية فرادتهم خبرة بذواتهم وبصرا بالحياة والفن معا .

ومما ضاعف حرصهم على الغناء التزاما له وتعلقا به حاجة المغنين الى الشعر اذ هو المادة الاولى لفنهم ، ثم ما كان للغناء من فضل كبير في ترويج الشعر والعمل على شهرة صاحبه وتخليد فنه على مر الايام ، لا سيما وقد كان المغنون يحرصون على تخير أجود الشعر لاغانيهم ليزداد اللحن حسنا

---

(18) لم يعد الغناء في العصر الاموي عربيا صرفا أقرب الى بساطة البداوة وانما تطور واثرى بفضل الظروف الحضارية الجديدة وخاصة بما اقتبسه من الامم العريقة في الحضارة كالفرس والروم . جاء في الاغاني ( ) : « ... انه (أي المغني ابن محرز) كان يسكن المدينة مرة ، ومكة مرة ، فاذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء ثم يرجع الى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر ثم يشخص الى فارس فيتعلم الحان الفرس وغناءهم ، ثم صار الى الشام فتعلم الحان الروم وأخذ غناءهم **فاسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين واخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض والف منها الاغاني التي صنعها في أشعار العرب** فأتى بما لم يسمع مثله وكان يقال له صناج العرب » .

(19) تفضيلا ضمنيا .

(20) الاغاني م 3 (قسم ثالث) ص 208

بجمال الشعر (والعكس أيضـا) وحتى أصبح الغناء فى شعر ما عنوان جودتـه وكاد أن يكون التلحين مقياسا لقيمة الشعر المتغنى فيـه .

جاء فـي الاغاني : « .. لما ولـي عبد الملك بـن مروان الحرث بن خالـد المخزومي مكة بعث الى الغريض فقال له : لا أرينك في عملي ؛ وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه . فخرج الغريض الى ناحية الطائف ، وبلغ ذلـك الحرث . فـرق لـه فرده ، وقال له : لم كنت تبغضنـا ؟ وتهجر شعرنـا ولا تقربنا ؟ قال له الغريض : كانت هفوة من هفوات النفس ، وخطرة من خطرات الشيطان ، ومثلك وهب الذنب ، وصفح عن الجرم ، وأقـال العثرة ، وغفـر الزلة ! ولست بعائد الى ذلك أبدا ! قال **وهل غنيـت فى شيء من شعـري ؟** قال : نعم . قد غنيت فى ثلاثة أصـوات من شعرك . قال : هات مـا غنيت . فغناه ... » . (21)

وجاء أيضـا : « ... كانت سلامـة وريا أختين ، وكانتا مـن اجمل النساء واحسنهن غناء . فاجتمع الاحوص وابن قيس الرقيات عندهما . فقال لهما ابن قيس الرقيـات : **اني اريد أن امدحكمـا** بأبيات وأصدق فيهـا ولا أكـذب ، **فان أنتما غنيتماني بذلك والا هجوتكما ولم أقربكما** . قالتا : فما قلت ؟ قال : قلت :

لقد فتنت ريـا وسلامــة القسـا   فلم تترك للنفس عقـلا ولا نفسـا

فغنته سلامة واستحسنتـاه وقالتـا للاحوص : ما قلت يا أخا الانصـار ؟ قال : قلت :

أســلام هــل لمتيــم تنــويــل
أم هــل صرمــت وغــال ودك غــول
لا تصــرفــي عنــي دلالــك انــه
حســن لــدى وان بخلــت جميــل

فغنت الابيات . فقـال ابن قيس الرقيات : يا سلامة ! أحسنـت واللـه ! وأظنـك عاشقـة لهذا الخلـق ! فقال له الاحـوص : مـا الذى أخرجك الـى هذا ! قال : حسن غنائهـا بشعرك ، فلولا أن لك فـي قلبها محبة مفرطـة ما

---

(21) نفس المصدر م 3 (قسم ثالث) ص 207 .

جاءها هكـذا حسنا على هذه البديهـة . فقال له الاحوص : **على قـدر حسن شعري على شعرك هكذا حسن الغناء به** ، وما هذا منك الا حسد ... » (22) .

ويقول أبو الفرج الاصبهاني : ... قال أبو نافع الاسـود ـ وكان آخـر من بقي من غلمان ابن سريج : **اذا أعجزك أن تطرب القرشي ، فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، فانك ترقصه ..** » (23) .

ومن دواعي حرص الشعراء على أن يغنى في أشعارهم رغبتهم في النسيب البالغ التأثير ، فكأن الشعر (هكذا استشعروا وخيل اليهم في بعض الاحيان) لم يعد كافيـا وحده للتشبيب بالنسـاء فأضحى في حاجـة الى سند اللحـن وسحره ليدخل ـ بلا اذن ـ الى قلوب الحسان ويفعل فعله الجبار فيها .

يقـول صاحـب الاغانـي : « ... لما أن قدمت عـائشة بنت طلحة أرسل اليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكة : اني أريد السلام عليك ، فاذا خف عليك أذنت . وكان الرسـول الغريض ، فقالـت له : انا حرم ، فاذا أحللنـا اذناك . فلما أحلت سرت على بغلاتها ولحقها الغريض بعسفان او قريب منه ، ومعه كتاب الحرث اليها : ما ضركم لو قلتم سددا ـ الابيات المذكورة ـ ؛ فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحرث باطله !؟ ثم قالت للغريض : هل أحدثت شيئا ؟ قال : نعم ، فاسمعي ؛ **ثم اندفع يغني في هذا الشعر ..** واستحسنته عائشة ... وقالت : زدني : **فغناها في قول الحرث بن خالد أيضا :**

زعموا بأن البين بعد غـد | فالقلـب ممـا احدثـوا يجـف

ثم قالت له : غنني في شعر غيره ، فغناها :

أجمعت خلتي مع الفجر بينا | جلل اللـه ذلك الوجـه زينـا
أنعم اللـه بالرسول الذي ار | سل والمرسل الرسالـة عينـا

قال : فضحكت ثم قالت : وأنت يـا غريض ، فأنعم اللـه بك عينـا ، **لقـد تلطفت حتى أديت الينا رسالتـه ، وان وفاءك له لمما يزيدنا رغبة فيك وثقة بك** . **وقد كان عمر** (بن أبـي ربيعة) **سأل الغريض ان يغنيها هذا الصـوت ،** لانه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تميم من ذلك ، فلم يحب التصريح بها،

(22) الاغاني م 8 (قسم أول) ص 14 ـ 15 .
(23) نفس المصدر م 1 نفس المصدر م 1 (قسم ثان) ص 201 .

وكره اغفال ذكرها ، **وقال له عمر : ان أبلغتها هذه الابيات في غناء ، فلك خمسة آلاف درهم** ؛ فوفى لك بذلك ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى ... » (24) .

ومما لاشك فيه أن هذه الصلة الحميمة والتفاعل العميق والتعاون الوثيق المثمر بين الشعراء والمغنين كان من أهم العوامل التى ساعدت على استحداث شعر طريف لاءم بين المعنى والشكل .. بين النظرة الجديدة الى الحياة واسلوب التعبير فانعكس أثر ذلك فى اللغة الشعرية .. فى صورها الجريئة الموحية وخفة الاوزان ورشاقتها ورقة الالفاظ وسلاستها ، كما ساهمت فى تطور الشعر الغزلى واتجاهه نحو التخصص والاستقلال بصفته فنا على حدة وغرضا قائما بنفسه (اذ أن أغلب ما يترنم به المغنون من أصوات يقوم على النسيب خاصة) ، فأصبح الشعراء (والجمهور الذواق أيضا) لذلك اكثر تطلبا للطابع الغنائى فى الشعر وأشد تنبها له واحتفالا به ، وذلك بفضل ارهاف الذوق الفنى وتهذيب « الاذن الموسيقية » لديهم .

جاء فى الاغانى : « ... قال : سمعت المسور بن عبد الملك يقول : **ما ضر من يروى شعر كثير وجميل أن لا تكون عنده مغنيتان مطربتان** . » (25)

ومجمل القول ان مشاركة الشعراء فى نشأة الظرف ونموه واستمراره قد كانت مشاركة مزدوجة ... عاشوا الظرف متجسما فى مختلف مظاهر حياتهم وسلوكهم .. حرية خلاقة ترفض التبعية والتقليد وتأبى التزمت والجمود .. عشقا للحياة وكلفا باللهو والجمال فى شتى صوره حتى لقد جهدوا أن يحيوا حياة خالصة للفن ؛ ثم صوروا ظرفهم هذا ، ومثلوه تمثيلا فى أشعارهم ، تجربة حية .. وجد فيها معاصروهم بعضا من حقيقتهم ، وصورة مما يتوقون اليه من نعم الحضارة وملاذها الحسية والروحية ، فكانوا بذلك (هم والمغنون) سدنة الظرف ورعاته .. مثالا يحتذى ، على الدهر ، قوى الاشعاع دائم الاثر .

البشير المجدوب

---

(24) نفس المصدر م 3 (قسم ثالث) ص 202 ــ 204 .

(25) نفس المصدر م 8 (قسم أول) ص 54 ــ 55 .

حبّهن وشم على الرّمل والزّوابع *

شعر: هشام المحمدي

★ 1) خلاصة حزن الذاكرة الموقر :

..وحين أسافرُ حتّى انطفاء المواقيت
يا امرأةً صعبةً مثل حزني ..
ويا امرأة علّمتني التّوجّعَ حتى نسيتُ جراحي
ر ما عاكستني ..
وكنتُ أغني ..
هي النّارُ منك ومنّي
وبالحزنِ والنارِ تأتي المنى بالتّمنّي ..
وضدّ الهوى ياهوايَ الطيور تُغنّي ..
أريدُكِ أنْ تمنحيني شرودَ التّلهّي ..
وأن تفتحيني على الناسِ عبرَ التشهّي
وأنْ ترفضيني ..
فباسمكِ ما زلتُ أختارُ جرحَ هوايَ
وأحلمُ بالحبّ يا منتهايَ ..
وما زلتُ يا منيةَ العمر ضدّ مُنايَ ..
أحبّكِ ، والحبّ فيه الشذى والورودْ ..

أحبكِ ، جاهدتُ من أجلِ عينيك عـامـا
وعاما توغـّلْتُ في ناطحات الوعودْ
أحبّكِ مـا دُمْتُ أهـواكِ فالحبّ عندي بدون حـدود
أحبّكِ جاهدتُ مـنْ أجـلِ عينيكِ حتى العـنادْ
تـوغـلـتُ ، ثُـرتُ ، تدحرجتُ ذآبَ نـزيفي المُـعادْ ...

* * *

★ 2) أشياء عن مدن الصراخ الجاد :

تُـرى هـل نسيتِ وعـودي ..!
فسافـرتِ مـثلَ العـواصفِ خلف الضباب
وخـالـفتني بـين شـوقٍ ووجْد ..
لتغتـالني كفّ هـذا الـعذابِ !؟
تُـرى هـل نَسيتِ اشتهـائي ؟
ولا المستحيـلُ يـكـونُ انـطفـائي ..
ولـم تـعلـمي رغـم نـاري وحـزني ..
بـأني إذا مـا ضحكتِ نسيتُ سمائي ..!؟

★ 3) من تغريبة عاشق نزيه :

أقول لعينيك: «غاب معي الحلم ذاتَ مساءْ»
تقولان : «تأتي مع الليل تحبوالطيورُ إليك ..»

وآه .. وآه .. وآهْ ..
أظلّ أحـدقُ في المستحيـل ..
وفي الأمنيـات بكـاء ..

وزادي من الحـــزن يبـــقي من الأ نطفـــاء ..
أخيـرا .. أحاول أنساك بـالآحـــزيـــن
ولـــكنّ عينيك حـــلم كبيرٌ كبيرْ ..
أنا متعبٌ بـــالـهـوى ، بـالأمـــــاني ..
ولـم يبـق عـــندي
سوى ذكريات الليالى المصفّاة بالإشتهاء المثيرْ ..

★ 4) نزيف شمعي مدى الاحلام والغربة :

تمـريـــنَ ، فيك اصفرار الصحارى ،
البلابل تجتر جرحَ مناقيرها والترابيع تخضّر بين هبوب النسيمْ
مشاتـــلُ حـــزنيِ تضيءْ ..
ولـــيـــل الـــربيـــع رديءْ ..
رديءْ ..
وكـــلّ الأمـــــانيِ معجلـــةٌ ستجيءْ ..
هـــي النّـــار كيف أراودهـــا بيـــن هذي المساربِ ؟
أحـــفـــلُ بـــالحـــزنِ والـــنـــارِ ..
أحـلـم بـــالانطلاقِ الجـــــريءْ ..
تـــمريـن .. أحتـــاجُ للحزنِ حينَ أراكِ ..
المســـافـــاتُ تمتـــدُّ ، تنهدُّ ، كـــلّ الطيـــور
تـــغـــنّي
تـــفـــرّ الـــطيـــورْ ..
وكـــلّ المســـافـــات تـــأبيِ المـــرورْ ..
أنـــا بـــعـــدَ حـــيـــنٍ
يعـودُ بي الصيف حـتـمـا أليكِ
فتنـــدى الصحارى التيِ علّمتنا اســـتـواءَ الجفـــافْ
وتـحبو بـنا الشمـسُ صوب الضّفـــافْ .

الأديب التونسي الموسوعي زين العابدين السنوسي

بقلم : رابح لطفي جمعه
(القاهرة)

عتب الاستاذ محمد مزالى فى حديثه المنشور بمجلة « الفكر » نقلا عن جريدة « الشرق الأوسط » على أدباء المشرق العربى أنهم لم يبذلوا من أنفسهم ما يجعلهم يطلعون أو يتطلعون الى إنتاج تونس الفكرى والادبى رغم غزارة هذا الانتاج وروعة الكثير منه وأن معرفتهم بالشعراء والادباء التونسيين لا تكاد تتجاوز أبا القاسم الشابى ومحمود المسعدى .

والحقيقة التى نعتقد أن الاستاذ مزالى يوافقنا عليها هى أن الاستعمار الفرنسى للقطر التونسى قد عمل على القضاء على المقومات الثقافية والحضارية والروحية لهذا القطر العربى وجعله مقاطعة فرنسية روحا ولغة وثقافة ، فكان هذا الاستعمار الاستيطانى من أكبر العقبات التى حالت دون وصول الادب والفكر التونسى الى المشرق العربى بالقدر الكافى للتعريف برواد هذا الفكر وأعلام ذلك الادب .

ومع ذلك فان أدباء تونس وشعراءها لم يعدموا أقلاما فى المشرق العربى تقدمهم الى قراء العربية وتنوه بانتاجهم الذهنى على اتساع رقعة العالم العربى ، وعبر هذه الاقلام عرف أبناء العربية أدباء وشعراء تونسيين لا يجحد عطاؤهم الفكرى ولا ينكر فضلهم على الادب العربى من أمثال : حسن حسنى عبد الوهاب الذى كان عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق وقدم لقراء العربية على صفحات مجلة هذا المجمع لمحات مضيئة وومضات مشرقة عن الثقافة فى تونس ، والشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، وأحمد القليبى الناثر الشاعر صاحب الرسائل بين طرابلس وتونس ، والهاشمى المكى صاحب صحيفة « أبو قشة » الذى ناضل الاستعمار وعملاءه بصحيفته وقلمه ولسانه،

وكذلك الشعراء : محمد الشاذلى خزنه دار ، وأبو الحسن بن شعبان ، والهادى المدنى ، ومحمد المكى بن حسن ، وصالح النيفر ، وأحمد خير الدين ، وحسين الجزيرى ، ومصطفى خريف وغيرهم .

ومن أعلام هؤلاء الادباء التونسيين الذين أثروا الادب والتاريخ بانتاجهم المتعدد الالوان زين العابدين السنوسى الذى نقدمه الى قراء العربية على صفحات هذه المجلة كواحد من أبرز كتاب المغرب العربى منذ الثلاثينات وما قبلها من هذا القرن العشرين .

نشأ زين العابدين السنوسى فى بيت علم وأدب وشعر ، فجده أبو عبد الله السنوسى كان من أعيان علماء تونس وقد تولى خطة قضاء بنزرت ثم قضاء باردو ثم قضاء الجامعة بتونس ، أما والده محمد السنوسى فقد تولى فى أول صباه تدريس العلم بزاوية سيدى الهياجي ثم تولى تحرير جريدة الدولة الرسمية « الرائد التونسى » ثانية أو ثالثة الجرائد العربية الاسلامية فى العالم العربى كله ، فكان أول صحفى عربى فى تونس بل وفى المغرب العربى، وكان رجلا أبى النفس حمي الأنف صادق الوطنية حتى انه ترك العمل بجريدة « الرائد » فى اليوم الثالث للاحتلال الفرنسى للبلاد حتى لا يكتب فيها ما لا يرضى عنه ضميره ولا يطاوعه فيه قلمه وجنانه ، وانصرف الى طلب العلم والتأليف والتصنيف ، فألف « مجمع الدواوين » من عدة أسفار جمع فيه عصارة دواوين متأخرى الشعراء التونسيين كما جمع ديوان الشاعر محمود قبادو وألف كتاب « مسامرة الظريف بحسن التعريف » عن قضاة تونس والجامع الاعظم ، وله رحلتان الى الحجاز وباريس أسماهما الحجازية والباريسية، كما نظم قصيدة سماها « الفريدة فى المخترعات الحديثة » فدل بذلك على تفتحه الذهنى والتنويه بأسباب الحضارة والتمدين (I) . كان رحمه الله فصيحا بشوشا لين العريكة متحببا الى الناس ، رطب اللسان يترشح لكتابة ما يعن له فلا يتهيب الكتابة فى أى موضوع .

(I) لعل هذه القصيدة تكون صدى لدعوة خير الدين التونسى مؤلف كتاب « أقرب المسالك فى معرفة أحوال الأمم والممالك » الذى استنهض فيه همم أبناء وطنه واستفزهم الى التجدد والترقى ودعاهم للوقوف على ما فى العالم العربى من وسائل التقدم وأسباب التمدين واكتناه أسرار الفنون والعلوم والتسلح بالعلوم والصناعات العصرية .

وقد مات هذا الأب وابنه زين العابدين ــ موضوع حديثنا فى هذا المقال ــ كان ما زال طفلا رضيعا ، يدلنا على ذلك ما جاء فى إهداء كتابه « الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر » الى والده حيث يقول : « الى والدى الذى لم أر شخصه فى حياتى وإن لم يفارق بصيرتى طرفة عين .. الى الذى ألهمنى العمل بما جمع من آداب أسلافه ومعاصريه فقد مضى وتركنى صبيا رضيعا فلم أكبر إلا شاعرا بواجبى إيصال حلقات سلسلة الدهر اعترافا بقبول السير فى منهاجه وتعقب خطواته » .

وحقا كان الابن زين العابدين استمرارا لأبيه فى منهجه واستمرارا لأسرته التى عرفت بالعلم والفضل فى تونس ، فاقتفى أثر والده وبدأ حياته الأدبية ــ إثر انتهاء الحرب العالمية الاولى ــ بانشاء الصحف والمطابع ، فأنشأ مطبعة العرب وأصدر نشرة شهرية باسم « العرب » ، فلما منعت الحكومة تداولها بعد العدد الرابع تحايل على إصدارها بأن وضع على كل عدد منها اسما جديدا، ثم أصدر مجلة العالم سنة 1930 وكانت كما قيل بحق « رائدة النهضة الفكرية وسجل التطور الادبى » ، وقد أولت هذه المجلة اهتماما كبيرا للنهضة الادبية فى المشرق والمغرب وعرفت بأحدث الكتب فى الادب العربى والفرنسى وعنيت بنشر إنتاج الشباب فى تونس وترجمة عشرات من القصص والدراسات الادبية والتاريخية .

وعندما نالت تونس استقلالها تولى زين العابدين المطبعة الرسمية سنة 1956 فكان أول وطنى يديرها بعد الاستقلال . وقد توفى هذا الاديب المتعدد الجوانب والمواهب سنة 1965 .

والدارس لحياة زين العابدين السنوسى وآثاره الفكرية يحار فى تعدد النواحى التى أسهم فيها بالكتابة حتى إننا لنعتبره أديبا موسوعيا بكل ما تعنى به هذه الكلمة ، فقد قدم للمكتبة العربية خلال نصف قرن من الزمان عشرات المؤلفات فى الادب والتاريخ والترجمة والشعر والمقالة والقصة ، وكان الى جانب ذلك كوالده متفتح الذهن ، لا يصد عن تقريب أساليب النهضة الفكرية العصرية من التراث العربى الاسلامى ولا يعزف عن روح التجديد فى الشعر العربى باعتبار أن الشعر لم يعد مجرد « نمارق لفظية فى شطرتين وإنما أصبح حديث النفس وأنة القلب » ، ليس هذا فحسب بل إن أديبنا يدلى بدلوه فى كيفية طبع الكتاب ــ وهو الذى دارت آلات المطابع بعطائه الفكرى وانتاجه الذهنى ــ فيرى أن طبع الكتاب يتطلب أمرين ؛ هما المادة والذوق ، فالمادة متعلقة بالورق والغلاف ، أما الذوق ففى إتقان الترتيب الطباعى

والتنظيم وتصفيف الحروف واخراج الكتاب في صورة جذابة ، وهذا إن دلنا على شيء فانما يدلنا على سلامة ذوقه ورهافة حسه وحبه للجمال في كل شيء فلطالما جأر القراء من شكل الكتاب العربي وبعده عن الذوق والجمال بسبب صفرة أوراقه وعقربة حروفه وعدم الاهتمام أو العناية باخراجه في صورة محببة تجذب القارىء .

استطاع زين العابدين السنوسي أن يقدم في خلال نصف قرن عشرات من المؤلفات في شتى المجالات ، نذكر منها : « بلاغة العرب في الجزائر » لزميل صباه عثمان الكعاك ، و « موجز التاريخ العام للجزائر » ، كما كتب فصولا عديدة في مجلات « الندوة » و « الثريا » و « الفكر » ، وتحدث في دراسة مطولة عن الشاعر التونسي محمود قبادو وأهم أعماله ، كما كتب عن أبي القاسم الشابي وكان قد تعرف به سنة 1927 فرأى منه ما أعجب به فاكبره وقال عنه : انه أنبغ من رأى من شباب تونس . كما قدم لقراء العربية على صفحات مجلة الثريا أعلاما في الادب التونسي سواء في العصر القديم خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، أو في العصر الحديث من أمثال محمد العيد الجباري ومحمد العريبي وسعيد أبي بكر ومحمد بوشربية وعبد الرزاق كرباكة ومصطفى آغة وعثمان الكعاك وغيرهم .

كذلك اتحف زين العابدين السنوسي « مجلة الفكر » بمجموعة من المؤلفات لكتاب المغرب وتونس والجزائر وترجم بعض الاشعار الفرنسية لمالك حداد الى اللغة العربية ، ونشر سنة 1961 بهذه المجلة دراسة قيمة للشعر العربي في تونس حتى العصر الحديث ، عرض فيها لمذهب الشاذلي خزنة دار ومصطفى آغة وصالح سويسي القيرواني والطاهر الحداد .

وزين العابدين الى عطائه الفكرى الزاخر في كل مجال المتعدد النواحي والاتجاهات ـ شاعر رقيق الوجدان ، مرهف الحس رومانسي النزعة ، يقول من قصيدة يناجي فيها زوجته المتوفاة وهي من أرق الاشعار التي تعرف في الادب الغربي « بالشعر العائلي » أو « الشعر الحميم » Poésie intime :

أما وقد مر الزمان بها وأفقدني رؤاها
لا العطر ينعشني ولا أرجو عبيرا من سواها
إلا عبير ابني الصغير تضمه يدى الحنونة
فأشم رأسا مغمضا جفني.. وتعروني السكينة !

على أن أهم آثار زين العابدين السنوسي الأدبية هو كتابه « الأدب التونسي فى القرن الرابع عشر» الذى أصدره سنة 1927 استهلالا لموسوعة أدبية كبيرة تهدف الى « دراسة الادب التونسي اليافع فى جميع الأعصر الاسلامية منذ دخول العرب الى يومنا هذا ، تخليدا للنبوغ والعبقرية التونسية التى ما فتئت الدرة الميمونة فى تاريخ الادب العربى الخالد » .

وقد قسم المؤلف هذه الموسوعة الى ثلاثة كتب : الاول عن الادب التونسي فى العصر الذهبى للعرب ، والثانى عن الادب التونسي فى العصور الوسطى ، والثالث عن الادب التونسي فى القرن الرابع عشر . ولا يوجد فى مكتبة معهد الدراسات العربية بالقاهرة سوى الجزء الاخير من هذه الموسوعة ، ولا نعلم ان كان زين العابدين السنوسي قد أكمل هذه الموسوعة الادبية التى أشار اليها كثيرا فى كتاباته أو لم يكملها .

فان كانت أجزاؤها الباقية ما زالت مخطوطة فاننا نرجو من المسؤولين عن الادب والثقافة فى تونس أن يعملوا على نشر هذه الاجزاء خدمة للتاريخ والادب وتحية لأديب تونسي ساير الحياة الادبية أكثر من خمسين عاما .

رابح لطفي جمعه
ــ القاهرة ــ

مراجع البحث :

(1) الطاهر بن عاشور ، تاريخ الحركة الفكرية فى تونس .
(2) حسن حسني عبد الوهاب ، الثقافة فى تونس ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد 28 ، سنة 1953 .
(3) أنور الجندى ، أعلام وأقلام وأضواء على الأدب العربى المعاصر .
(4) رسائل أحمد القليبى بين طرابلس وتونس ، تحقيق : على مصطفى المصراتى .
(5) زين العابدين السنوسي ، الأدب التونسي فى القرن الرابع عشر .
(6) محمد بن تاريت ومحمد الصادق عفيفى ، الأدب المغربى .
(7) مجلات تونسية : أ) الثريا ، ب) الندوة ، ج) العالم الادبى ، د) الفكر .

سفينة الحكمة

شعر عبد الله الزناد

ويل لمن غلب

رأيت الناس أتباعا لمن غلبوا فالغالبون لكل الناس أسياد
والويل والذل أحلاف لمن غلبوا فانهم بين أهل الأرض أعباد

اليأس

إياك واليأس فهو الموت تجمعه ولا حياة اذا ما اليأس يغشاكا
ولا ترى اليأس يستولى عليك اذا رمت الحياة وزالت عنك بلواكا

المعروف

اصنع متى استطعت معروفا تقدمه لمن تصادفه أهلا لمعروف
فذاك حصن لأهل البر يمنعهم مصارع السوء وهو الأمن من خوف

السماحة

إن السماحة فى الانسان محمدة ما لم تكن ذات إسراف وتبذير
فجد بما فيه إحسان تقدمه وخذ سبيلك فى الدنيا بتقدير

الأمل

من كان يفرط فى الآمال يرقبها يضيع العمر فى شتى أمانيه
أليس أجدى بذي الحاجات يطلبها أن يجعل الشغل بالخيرات يأتيه

الملل

إن الشعوب اذا ما نالها ملل يأتى على الصبر يرديها ويفنيها
وأمة أصبحت للصبر منكرة لا شك قد ختمت انفاسها فيها

الضحية تجابه الجدار

قصة : نفيسة العلمي
(المغرب)

حين وجدت نفسي في الزنزانة ، ظننت انني احلم ، فـركت عيني ، ثم بحلقت في الحجرة الضيقة . صدمتني العتمـة ، وألـوان الجـدران الرمـادية القذرة ، تحاملت على نفسي ، ووقفت ، مشيت الى الباب الحديدي ، فحـاولت فتحه ، أطل على السجان مهددا ، بدأت أعـي الحقيقـة ، انني سجين رجعت وسقطت على السرير القذر ، نظرت الى اثر اللكمات والكدمـات في جسمي ، تكومت وانا أتحسس كل مكان في جسمي ، فأقع على دليل للعنف الذي مورس علي ، ماذا حدث ؟ وكيف وصلت الى هنا ؟ أحس بالتعب ، ولا أستطيـع أن أبحث في عقلي الباطن ، لاستخرج الحوادث التي مرت بـي . سمعـت حـذاء السجان الثقيل يرن على الارضية المبلطة ويصل الى الباب ثم يختنق الصوت . دون شك يراقبني .

تأوهت بألم ، فكان رده ان بصق على الارض ثم شتمني ، وذهـب يضرب الارض بحذائه مخلفا الرعب في القلوب ، جلست على السرير ، ثم قررت ان أبذل مجهودا لمحاولة معرفة لماذا أنا هنا .

قبل أيام وبالضبط يوم (...) واجهتني أمي صباحا قائلة ، وهي تضـع يديها على خاصريتها ، وكانت الساعة قد جاوزت التاسعة :

ــ ألم تشبع نوما ، استيقظ أيها الفاشل ، امثالك ذهبوا هذا الصباح الى المدرسـة ، وأنـت مـا زلت تنـام لقد فعلتها اذن . لم تعد ترغب في متابعة الدراسة ، ثم تابعت صراخها وزعيقها .

أمي طيبة ، وهي لا تفقه شيئا . لم أكن نائما ، كانت الدموع تبلل وجهي ، أول يوم من السنةالدراسية ، لم استطع ان اخرج الى الشارع ، لقد تحطمت

كل آمالي . بذلت جهدي لأتجنب هـذا المصيـر ، الا ان حظـي التعس ، لـم يساعدني على النجاح ، وطردت . لم تكن تعلم والدتي انني أعاني من هـول الصدمة ، وانني لم أكن أتوقع أن أطرد أنا الذي كنت التهم كل المعلومات التي تقدم الي ، لم تكن لدي رغبة قوية في التثقف بقدر ما كنت أريد أن أحصـل على شهادة ، وبالشهادة سأكسب قوتي ، مرة أخرى أخـرجني من تأمـلاتي صوت أمي .

ـ اخرج حالا ، لا أريـد أن أراك ، مـاذا سيقول أبـوك ؟ واخوتك كيف ستواجههم ،ألم تستح منا ؟ أبوك أصبح شيخا ، ويريد أن يرتاح ، وكنت أملنا في أن توفر له هذه الراحة ، وأنا ... انظر الى حالتي ، رحت البـارحة للمستوصف ، قالوا : علي بأن آكل قطعة لحم كبيرة كل يوم ، لأقضي على فقر دمي ، من أين لي بذلك ؟ ومن أين لي بالاشياء ألاخرى ؟ اخـرج ، اغـرب عن وجهي . لقد خذلتنا وضحكت منا ، لقد كنا نظن أنك جاد .

قمت وأنا انظر اليها بعطف ، ولم تمهلنـي حتى اغسـل وجهـي ، كانت غـاضبة .

خرجت على غير هدى ، الى أين أذهب ؟ ، قادتني قدماي الى باب الثانويـة (....) وقفت لبضع لحظات مترددا ، ثم تشجعت ودخلت ، استقبلني الحارس العام ، افهمني للمرة العاشرة انني مطرود ، وانه قرار لا رجعة فيه ، وانهـا أوامر المسؤولين ، وعليه تنفيذ الأوامر ، حاولت ان افهمه انني كنت مجدا ، وما ذنبي ان رسبت ، لان النسبة العامة للرسوب كانت 70 % وان عليهم ان يساعدوني فقط هذه السنة ، رجوته ، تملقته . كدت اقبل اليـد التي مدها الحارس العام ليزيحني وهو يصرخ :

ـ لا . لا . لا ! قالها بقســـوة .

نكست رأسي وخرجت ، لم استطع مواجهة زملائي ، حتى المطرودين منهم ، كنت أعيش أعظم مأساة ، انه علي أن أتعود التشرد في الشوارع ، أمي لا تريدني ، المدرسة لا تريدني . فتشت في جيوب بنطلوني « الجينـز » المتسخ عن درهم واحد . لم أجد شيئا .

راودتني فكرة الانتحار ، ثم عدلت عن المشروع ، لانني أحب الحياة ، وانا صحيح جسميا ، ومن الاسوياء عقليا .

انطلقت أتجول فى الشوارع على غير هدى ... نظرت الى الدكاكين . اللامعة فى شارع (........) قرأت أثمنة القمصان ، والثياب ، تساءلت كيف يستطيع الآخرون أن يمتلكوا هذه الأشياء بهذه الاثمان الغالية ، وأنا لا أملك درهما واحدا . وصلت محطة حافلة ، وقفت مترددا ، بـى رغبة فى صعود الحافلة ، ولكنى لا أملك نقودا . كثر الازدحام على باب الحافلة ، تزاحمت مـع المتزاحمين وكدت أصعد ، لولا بقيـة من كبريـاء وتـراجعت ، كيف أصعـد الحافلة ، وأنا لا أملك ثمن تذكرة ، صرخت امرأة ازحتها من طريقى .

ـ هكذا يفعلون ليخطفوا الحقائب، ويسرقوا ما فى الجيوب ... بحلقت فيها مذعورا ، ثم هرولت مبتعدا ، لا لست لصا ، ليست لدى الجرأة لأصعد حتى للحافلة بدون أن أؤدى الثمن رغم الزحام الشديد .

خطرت ببالى فكرة ان اذهب الى البحر ، مشيت اخترق الدروب والازقة ، ضربت حجرا بعنف بحذائي تنفيسا عـن غضبـي ، فانفتـق ، جلست أدق مساميره بحجر ثم استأنفت الطريق .

تراءى لى البحر يرغى ويزبد ، فاحسست بالانتعاش ، جلست على جـدار قصير ، اخذت أعد الامواج ، موجة وراء موجة ، ارتفعـت الشمس أكثـر ، شعرت بالحر ، الجوع بدأ ينهش احشائى ، لم استطع ان أبقى طويلا ، اخذت طريقى بين المنازل ذات الحدائق الواسعة ، كان الهدوء يخيم على حي (.....) السيارات الفارهة تقف ، ورائحة الاكلات الشهية تطبخ ، سألت خادمة تجول كلبا ذا فرو أبيض عن الساعة ، ظنت أننى أغازلها ، ردت علي بابتسامة كبيرة بأن الساعة فى يدى ، فتنبهت واعتذرت بظنى بأننى نسيتهـا فى البيـت ، قـالت :

ـ هذا زمن النسيان والقهر ، تصور اننى نسيت البارحة مفتاح الحجرة التى أسكنها هنا ، وتصور كيف رجعت من الحي ، لقد كدت أرجو الذين اشتغـل عندهم أن أنام عندهم ، ولكن كبريائى منعتنى ، كما انهم لم يطلبوا منى ذلك رغم تأخر الوقت .

أخذ الكلب يتمسح بي ، فوسعت خطاى أكثر لأذهب ، قالت الخادمة وهى تـلاحقنى :

ـ هل تسكن هذا الحي ؟ يخيل الى اننـى رأيتـك مـن قبـل ، ولكـن لا أتذكر أين ؟

نظرت الى ثيابى المتواضعة ، بنطلون « الجينز » والقميص ذى المربعات ، ثم تذكرت بشيء من الحسرة بأن أبناء الاغنياء أيضا يلبسون مثل زيي اقتداء ـ بالموضة ـ فخطر ببالى الجواب :

ـ نعم اسكن هنا فى شارع (....) الا أننى تخاصمت مع أمى اليوم ، ولا أريد أن أرجع الى البيت ، لأجعلها تندم على خشونتها معى ، ثم ان أبى الغنى سيسوؤه غيابى ، وسيكون مستعدا بمجرد عودتى الى ان يشترى لى ما أطلبه ...

سكت فجأة ، وأنا استغرب كيف اننى قادر على ان اكذب هذه الكذبة الكبيرة بسهولة ويسر فتذكرت بحسرة وألم اننى أيضا طردت بسهولة ويسر وان كل الامور تجرى بسهولة ويسر .

ـ أين ستبقى طول اليوم ؟

ـ لا أعرف ، سوف اذهب عند أحد اصدقائى .

تماديت فى الكذب ، ويظهر ان الخادمة تريد ان تنشىء صداقة معى ، كانت أكبر منى ، نظرت الى يديها الخشنتين ، فتذكرت أمى ، كانت ترتدى زيا أبيض ، وتضع منديلا أبيض أيضا على رأسها ، فكانت أشبه بممرضة منها بخادمة ، قالت : ان السيدة تطلب منها لبس هذا الزى ، وان مهمتها تنحصر فى رعاية الكلب ، فضحكت لاول مرة .

قالت الخادمة :

ـ لماذا تضحك ؟ اننى مربية الكلب .

نكست رأسى ، وندمت فى قرارة نفسى على مد الجسور بينى وبين هذه الانسانة ، الشيء الذى ورطنى الآن ، ولا أعرف كيف أتخلص منها .

نظرت اليها وكانت قد وقفت لان الكلب كان يريد ذلك ، اعتذرت بأننى ضحكت لانه يخيل الى ان مهمتها سهلة ، ثم أردت أن أودع غير انها قالت :

ـ لا مهمتى ليست سهلة ، انت لا تعرف شيئا عن معنى ان تربى كلبا غنيا ، مدللا . الطبيب ، الاكل ، النظافة . وانه عليك ان تحتضنه وتلاعبه طول اليوم وتدلله وتستجيب لرغباته .

احسست بالاحتقار لكل شيء . ما معنى ان تنقلب الآية . ان يعيش الانسان حياة الكلاب ، وان يعيش الكلاب أفضل من الانسان .

فى ذلك اليوم تناولت قطعة اللحم المخصصة للكلب مع خبز طرى ، وأشياء أخرى سرقتها الخادمة ، ووجدت نفسى فى نهاية المساء أصعد الحافلة مع الخادمة ، وادخل حجرتها فى الحي الفقير ، وكانت البداية والنهاية بالنسبة الى .

ردنى الى الواقع المر المفتاح وهو يدور فى باب الزنزانة ، واناء حديدى ملىء بشىء ما يسمى أكلا دفع به الى ، فتركته حتى أغلق الباب ، ثم قمت الى الاناء ، الا اننى لم استطع ابتلاع ما فى فمى لان الاكل كان رديئا بدرجة تبعث على الغثيان ، فتذكرت عدس أمى اللذيذ ، واجهشت بالبكاء كطفل ضائع ....

* * *

أخذت استرجع كل لحظة من اللحظات التى مرت بى قبل ان يرمى بى هنا .

تذكرت كيف ايقظتنى الخادمة بقبلة لزجة على خدى ، ففوجئت ولم أعرف أين أنا ، ثم تذكرت حوادث الامس ، فاحسست بالخجل والاحتقار والندم . كيف حدث لى هذا ؟ ولماذا تبعت هذه المرأة ، قالت وهى تضحك ضحكة كبيرة أظهرت أسنانها (الصدئة) :

ـ تناول فطورك ، ثم لا تنس ان تغلق الباب قبل الخروج ، وفى الساعة الثانية مر أمام الباب ، فسوف أوفر لك غذاءك .

خرجت وهى ترنو الي بعينين منتفختين وما زالت آثار النوم عالقة بهما .

أجلت بصرى فى ارجاء الغرفة ، كانت نظيفة ومرتبة بقع البرودة تظهر جلية على الجدران ، النافذة الوحيدة زجاجها المكسر يدخل هواء منعشا ، المائدة كانت توجد فى ركن من الحجرة وعليها كأسان وقنينة نبيذ نصفها فارغ ، اعقاب السجائر توجد فى اناء الاكل مع بقية عظام قطع دجاج . احسست بالخزى ، أنا الذى لم أضع فى حياتى سجارة فى فمى ، انا الذى لم أذق خمرا أبدا ، هل حقا دخنت وشربت !؟ والاكثر من هذا ماذا فعلت مع امرأة لا أعرفها !؟ الغواية بعينها تنحدر بى الآن الى الحضيض ـ الغواية . الغواية هى الحارس العام ، الغواية هى الآخرون الذين رموا بى فى الشارع ، قمت بتحد فارتديت ملابسى ، ثم خرجت .

كنت مترددا بين ان اذهب الى البيت ، او ان اتشرد فى الشوارع ، فضلت أن يكتب فى عمود صحيفة ما اننى متغيب ، على ان اواجه وجه أمى الاصفر المريض ، وعينيها الذابلتين ، وأبى ذا القسمات الصلبة ، واليد الحديدية التى سوف تنهال على حتما ضربا .

قررت انه على الآن ان ارضى بمصيرى الذى اختير لى . قلت أحدث نفسى : « سوف اذهب الى مكتب التشغيل ، ابحث عن عمل أولا » .

كانت جموع هائلة متراصة تقفز كلما ظهر الشرطى آملة ان يعلن عن افتتاح المكتب ، مرت الساعات . لا شىء ،جاس الاغلبية تحت ظل الاشجار ، يتحدثون عن همومهم ومتاعبهم .

قلت لجارى :

ـ ماذا جرى اليوم ؟ لماذا لم يفتحوا ، وكنت أتخيل أن الأمر سهل ، واننى سأدخل بمجرد حضورى .

رد جارى :

ـ ومتى كانوا يفتحون ، اليوم عشرة أيام وأنا أواظب على الحضور لاننى سمعت ان هناك تصدير بنى آدم .... ثم اعقب كلامه بضحكة جوفاء .

سكت ، وخرجت من الصف يمزق قلبى اليأس سرت الى غير هدف ، اضرب فى الطرقات خيل الى اننى ارى الشوارع لاول مرة ، كيف يمكن ان يوجد كل هذا الفرق الهائل بين الحى الذى أسكنه ، والاحياء الاخرى ؟ وكيف يمكن ان يحدث هذا الفرق الهائل بين انسان وآخر ؟ وهل أنت راض عن هذا يا إلهي ؟ ويا أيها الناس ؟

حين قرصنى الجوع فكرت جديا فى ان اذهب عند الخادمة ، ازدادت شهيتى تفتحا حين تذكرت قطعة اللحم الكبيرة ، التى اكلتها البارحة ـ الخاصة بالكلب ـ ركبت الحافلة هذه المرة ، كانت الخادمة قد تركت لى درهما .

رأيتها من بعيد ، كانت تجول الكلب ، وهى تنظر بقلق الى الساعة انبسطت أساريرها فجأة حين رأتنى ، هللت قائلة :

ـ تأخرت ، وأنا التى أحمل غداءك منذ نصف ساعة ، ثم مدت لى كيسا اخذته منها خجلا ، ومتذمرا قالت :

ـ كل قبل أن يبرد .

لم تكن قطعة اللحم الخاصة بالكلب ، كانت نصف خبزة بيضاء ، ممتلئة بقطع الدجاج ، واللحم ، وزيتون وفجل ، أكلة حقيقية .

كانت تنظر لى بوله وأنا آكل ، لم أكلف نفسى عناء شكرها ، وكان التقزز يظهر جليا على ملامحى دون شك لانها همست :

ـ ماذا جرى ألم يعجبك الأكل ؟ ربما تعودت على أكل أفضل !؟ كان التهكم يظهر جليا فى لهجتها ، فنظرت اليها بغضب وتحد وكدت انفجر فيها .

ـ عفوا لم أقصد ايذاء شعورك ، البارحة بكأس واحدة جعلتك تحدثنى بحقيقتك المرة ، ثم اغرورقت عيناها بالدموع وأردفت :

ـ اننى ندمت على اسداء ذلك المعروف اليك البارحة ، كنت أظن فعلا أنك ابن غنى ، وأنك كأى ابن غنى متعود على كل شىء ، من الافضل ان تعود الى أهلك .

نظرت اليها ورفعت يدى مهددا فتراجعت ، ثم استغربت ان يتقمصنى الشيطان فجأة ، وان أصبح على هذه الدرجة من العنف ، والغضب والتحدى ، انبسطت يدى فجأة فوضعتها على كتفها بلطف وقلت :

ـ لا بأس ، كل هذا جاء من الغواية .

صرخت :

ـ انا الغواية ؟ كيف تسمينى بهذا الاسم ؟

ضحكت باستهتار :

ـ لا لست أنت . الغواية : الحارس العام ، الغواية : السادة الذين يقررون مصائرنا . لم تفقه شيئا وسكتت على مضض وفا من ان تثيرنى . أخذت أبتلع الأكل بدون شهية وبدون لذة ، اخرجنى من خيالى فجأة صوت المفتاح وهو يدور فى الباب ، وأطل السجان قائلا :

ـ تعال . سيأخذونك اليوم للمحاكمة .

نكست رأسى وتبعته ، فتذكرت الكلب ذا الفـرو الابيض ، وكيف يمشى مختالا بينما تتبعه الخادمة ، قال بشىء من العطف .

ـ والله اننا تعبنا من هذه الحياة ، الانسان يرى شبابـا فى عمـر ابنـائه يسرقون ويرتكبون الجرائم ، انها نهاية العالم . علامة الساعة . لم أكن أعرف بالضبط ماذا فعلت ؟

* * *

دخلت قاعة غاصة ، قادنى الحارس الى ركن ووقف ورائى ، أجلت بصرى فى القاعة ، رأيت والدي بين الحاضرين ، كيف علما بأمرى ؟ ثم تذكرت بطاقة الثانوية والعنوان الموجود فيهـا . المنصـة العـالية يجلس عليهـا القـاضى ومستشاراه وجوه جامدة لا أثر للرحمة ولا للانفعال فيها ، أخذت بالمنظـر ، وخيل ا لىاننى مجرد متفرج على شريط سنمائى ردىء سمعتهم يتلون صـك اتهـامى .

قالوا : إننى خطفت سلسلة من عنق فتاة بعد أن ضربتها ، وإننى هربت فامسكونى ، ثم قالوا : بأننى خطير على المجتمع ، وعلى أمـن المـواطنين ، ثم متعفن ومنحرف صرخت بدون شعور . لا .. لا .. كل هذه الامـور كـذب وبهتان ، انا لم أسرق . أنا لست متعفنا ، ولا منحرفا دق القاضى بالمطرقة ، وطلب منى السكوت ، لاننى أزيد الوضع خطورة بوقاحتى ، ثم سأل ان كان هناك محام للدفاع عنى . لا .. لا .. قالها والدى بذل وصوت مختنق .

وقف أحدهم وأخذ يعدد حيثيات ادانتى .

أخذت أفتش عن سبب واحد من الاسباب التى يذكرها صدرت منى فعلا ، رجعت بخيالى الى الوقت الذى كنت أقف فيه مع الخادمة آكل قطعـة الخبـز ، تذكرت انه آنذاك خرج رجل من الفيلا أصلع يسبقه كرشه الفخم ، فهمست الخـادمة :

ـ اذهب . سيدى خارج ، لا أريد أن يراك .

باضطراب وخوف غادرت المكان بسرعة ، وانا التفت ورائى ظهـر لى من بعيد يتجول مع شخص آخر ، فوسعت خطاى ، كان قلبى يضرب بعنف ، فى هذا الوقت مرق بجانبى شاب يجرى بسرعة جنونية ، صدمنى فسقطت ، ثم

وقفت بسرعة وتابعت جريي ، لم أعرف لماذا فعلت هذا ، ربما لانني سمعت ورائي ضجة ، امسكوه ، امسكوا اللص ، اكلني الرعب ، ازددت جريا ، الا ان الضجة اقتربت مني ، وشعرت بيد قوية تقبض على انهالوا علي ضربا ولكما ، كلموا الشرطة ، ثم اخذوني ، قالوا : إنني خطفت سلسلة ، من عنق فتاة .

قلت : فتشوني .

قالوا : ينقصك الذكاء ، لقد رميتها يا حمار .

ووضعوها امام عيني ، كانت سلسلة رفيعة يتدلى منها قلب صغير .

قال القاضي بعنف :

ألم تسمعني ؟ هل تحلم ؟ هل عندك ما تقوله أخيرا ؟

لم أجب للوهلة الاولى ، ثم سمعت الحكم يصدر في حقي ، ستة شهور سجن ، وغرامة قدرها ألف درهم . تداركت الامر صرخت .

سيدي ، سيدنا القاضي ، سيدي ، سيدي : اني طردت من المدرسة .

وقال القاضي بوقار واحتقار : رفعت الجلسة .

فأجهشت بالبكاء ثم أخذت أصرخ :

إنني بريء . إنني طردت من المدرسة . انفض الجمع ، ورأيت أمي تمسح دموعها ، بينما تحولت سمرة أبي الى اصفرار ثم غادرا المكان ، قادني الحارس الى زنزانتي كنت ما زلت أردد بهوس مجنون : « إنني طردت من المدرسة ، إنني بريء ، إنني طردت من المدرسة ، إنني بريء ، وكنت أبكي بحرقة ومرارة » .

نفيسة العلمي

الذاكرة تتوجه بي نحو الغابة..

شعر : يس الحلاج

هَـلْ أبدأ بالصّلـوَات
وَهـذا الشّارعُ يرْفُلُ في العفنِ ؟
أمْ أبْدأ بالضّحـكـاتِ ..
وأرْحَلُ في الجرحِ – الكفنِ ؟

★

أمّـي وأبـي : شَجَـرَهْ
وَأكونُ دَمـاً عَرَبِيـاً أرْكضُ
فـي الأغْصَانْ
لي ذاكِرَةٌ تتَوَجّـهُ بي نَحْوَ الغَابهْ
فَلأجْلِسْ في ظِلّ الشّجرَهْ ..
وَلأبْدَأ بالتّفْتيشِ عن الوجهِ
المَمْسُـوخِ
وعَنْ نَبْعِ الحشَـرَهْ ..
حتى تَخْضَرّ الأغْصَانْ ..
ويُنَشّطَ ذاكَ المتآكلُ أعصَابهْ ..
يا أيّتُها الشّجَـرَهْ :
الرّيحُ تُحَتْحِتُ أوْرَاقَـكْ
الرّيحُ تُبَعْثِـرُ عُشّـاقَـكْ
والغُرْبَةُ تسْلِبُ عن قَدَمَيك الحِنّاءْ.
يا حينَ نَكونُ معَ الشّجَـرَهْ
وتَمُدّ أصَابِعَها كي تَفْتَح
نافذَةً في الليْـلِ !
تَمُـرّ الرّيحُ ، تَمُـرّ الرّيحُ
وتُنْذِرُها بالوَيْلِ
فَيطْلعُ صَوتٌ للسّلطَانْ
ويَصُبّ النّارَ على الأغصَانْ ...

★ ★

أنا طالب هرّأتْ قَدَمَيهِ الشّوَارعْ
أسكُنُ في «حي ميلوزَ»(*) ليْلا
وعِندَ الضّحى
أتوَاجَدُ في المشرَبِ الجَامِعِيّ
فتَسْكُنُ رَأسي الرّوَابعْ ..
وَعِندَ الظّهيرَهْ ..
نَسيرُ الهُوَينا إلى «مطْعَمِ الرّابطَه»**

(*) حي مياوز : مبيت جامعي يقع بنهج ميلوز وسط العاصمة ، أقام به الشاعر .
(**) مطعم الرابطة : مطعم جامعي .

بِخُطى رَخْفَـةٍ ، قانِطَــهْ
وَتَمْكُثُ في الصَّفِ عِشْرينَ قَرْنًا
إلى أنْ نَجِفْ..
وَتَشْبَعَ جُوعًا.. وَنَشْبَعَ جُوعا.

★ ★

خَمَدَتْ أعْشابٌ وانْطَفَأتْ غابَهْ
وتفجّرَ في الصّحراءِ حَريقٌ
يشْحَذُ أعْصابَــهْ
وَيُشَقّقُ أنيابَـهْ
تَتَدَلى أيتُها السّمْـراءُ
عَساليجُ العُلّيق على عَينيك
وتَسْرقُ أزْمِنةَ الكُحلِ النادرْ ..
يَتَسلّقُـك الإعصارُ
ويَسْلِتُ عنْ قدَميكْ
ألقَ الحنّاءِ الغابرْ ..
وَأراكِ : عَرُوسا تَخْبطُ بابَ الربّ
بلا كفّيـنْ
وتَنْتَظِرُ المطَرَ المفقُودَ
وتَشْخَصُ بالعينينْ
إلى وطَن يَتَناسَلُ بيْنَ
حَدائقِـهِ الشّعَـراءْ ..
نَتَـلاقى كالعَــادَهْ
نَتَبادَلُ شِعْرًا مُفْتَعَـلا ..
ونَقُـولُ كلامـًا مُبْتَذَلا ..

ونَجِيءُ حُضُورًا مُرْتَجَـلا ...
لنَشِـذَّ عن العادَهْ ..
إنّي مَمْلوءٌ أيتُها السّمراءُ
بِرائحة تَتَملّكني حتى الإلحادْ
ماعادَ يُشَرّفُني هذا الرّفض المعتاد..
ماعادَ يُشَرّفُني هذا الموتْ ...

★ ★

عِفتُ في الأحياءِ مَوْتَ العطر شاهْ
وَكرهتُ الموْتَ قُرْبَ المدفأهْ ..
فتَرَكتُ الكِينَ ..واخْتَرْتُ السّماءْ :
طَائِرًا ماخانَ يَوْمـًا مَبْدَأهْ .
وكما يَفعَلُ في الأرض الوَباءْ .
حَـاصَرَتْني
في الفضاءِ الحدَأهْ ..

★ ★

رَوَائحُ هذهِ الرّيحْ
تَعَوّدَها على رَغْمٍ الشذى أنفِي
أنا البدَوي في حِسّي
مَلَلْتُ تَمَوّمُسَ الحرْف ..
فَلا رجُلَ المدينةِ كان أعجبني
ولا امرأةَ المدينةِ سوفَ تعجبُني
وَلا الشُّعَـراءْ ...
وإنّي أسألُ البُسَطاءَ :
منْ منكمْ تَوَقّعَ شاعِرًا عَجَبا ..

وفاجأكمْ بشعرٍ لمْ يكنْ
كذبـًا ؟

★ ★

هذه مَسْكبتي :
أزرعُها عُشْبًا يتيما وشعْبًا نادرًا
أفتحُ بابا للزغاريدِ وبابا للفرح
أفتحُ رأسي كي أرى قوْسَ قزحْ ..
أصْبحُ شخصًا شاخصًا بالنظرَاتْ
نحو آتٍ طافحٍ بالوثبَاتْ ..
هذه مسْكبتي :
أزرعُها عُشْبا يتيما
وشعْبا نادرًا
أقتلُ موتـًا بائرًا
أصْبحُ فعلا شاعرًا
يكتبُ شعرًا للعصافيرِ
وشعْرًا للوطنْ ..

★

أنا لا أحبّ الخطابَهْ
فحَسْبي الكتابَهْ !
سأجلسُ خارجَ نفسي
وأكتبُ نفسي
وفي داخلي يكبرُ الفقَرَاءُ
وينتظرُونَ اخضرارَ الصحارى ..
أنا لا أحبّ الخطابَهْ ..
ولنْ أقرأَ الشعْرَ بالاهتزازْ
لأنّي وقفتُ أمامَ المرايا
وألفيتُ أنّ الصراخَ نشازْ

★

سأكونُ كما يَجبُ :
عربيا يسكنهُ اللهبُ ..
سأكونُ كما يجبُ :
حلْما لا يُجْهِضُهُ التعَبُ ..
سأكونُ كما يَجبُ :
وأشاءُ .. فينهارُ الرأسُ الخربُ

★ ★

أدْخلُ السجنَ وأشْقى
أوْ أنا حُرُّ اليدَيْنْ
إنّما وجهي سيبْقى
واحدًا في الحالتين ..

★ ★

في مثلِ هذا الصمتِ ..
في مثلِ هذا الشهرْ ،
أهداني رفيقُ العُمرِ :
رفْضا للمسافاتِ المَوَاتِ
ومَوْعدًا هامًّا معَ
الوجهِ الحسنْ .
في مثلِ هذا الموْتِ ..
في مثلِ هذا العطْرْ .

أوْصاني رَفيقُ العُمْرِ :
بالفرَح الكبيرِ
وبالتّوَغّل ، في الوطنْ ! .

★ ★

أيّها الشّعرُ ارتحلْ !
فالشّذى ما انفكّ
– يوْماً بعدَ يوْمٍ – يضْمحلْ

★ ★

ويحْضُرُ بي وجْهك الآنَ
ايّتُها البدَويّةْ
ففي مثل هذا الصّباح الملبّد
بالنّزَوَات
وقفنا على هُوّةِ اللحظةِ المضمحلهْ
تسَاءلتِ أنتِ :
– لمنْ تُفتّحُ الشُّرُفاتْ ؟
وكلّ العصافيرِ في مثل هذا الدُّجى
لمْ تعُدْ مُسْتقلّهْ ..
تلوّثَ ذاكَ الشّذى بالدّخَانْ ..
ضَحِكنا – بكينا
ونحنُ نشابكُ بينَ يدينَا
وفي الأقحُوانة كانَ الرّبيعُ
يُشيّعُ آخرَ قَطْرَةِ دَمْ ..

★ ★

هذهِ الأرضُ ما ضَاجَعتها
الحرَارَةْ
أيّها الشّاعرُ الفذّ كنْ مولعا
بالرّجوعْ
وانتشرْ .. وأعدْ للحريق اخضرَارَهْ .
لأ بتكرَ الشذى :
أفرَغْتُ كلّ حبيبتي
وملأتُها : عشقا طُفُوليّاً الجذور .
وكانَ أنْ ذابَ الجليدُ ،
تفجّرَ النّهرُ السّجينُ – العطرُ ..
واتخذَ الرّبيعُ حبيبتي وكرًا ..

★ ★

في الحقيقة ، أيّتُها البدويّةُ
إنّي أحبّكِ حتى الفناءْ ..
لأكنْ أسْتمدّ الشذَى منكِ
والحبّ مادمْتُ حيّا ..
لأكنْ مولعـًا بالتوغل فيكِ ..
فأطوى مسافاتكِ البكرَ طيا ..
لتكوني معي !
ولأكنْ طافحـًا بالجنونْ ..
وليَكنْ ما يَكونْ ! ..

يس الحلاج

1981 / 1 / 7

محمد الحبيب رائدا

بقلم : محمد الهادي المطوي

تمهيـد :

فـي الرابع مـن شهـر (فيفـرى 1981) تمر سنة كاملـة على وفاة رائـد من رواد النهضة الادبية والفكرية فى تونس المعاصرة ، ونعنى بـه المرحـوم محمد الحبيب الذى وافاه الاجل يوم 4 فيفرى 1980 بعد مرض لم يمهله الا أسبوعا .

وقد رأينا من الواجب ومن البر بهذا الرائد أن نحتفل بذكراه الاولى لاننا نؤمن بأهمية الدور التأسيسى الذى أداه محمد الحبيب للادب والفكر التونسى فقد كان رجلا جم النشاط ، دائب الحركة ، كثير التفكير والعمل فى سبيل خلق ثقافة تونسية عربية اسلامية أصيلة . وهذا ولا شك لون من الوطنية يخفى اليوم عن أصحاب العقول المحدودة النظر ، بل كان محمد الحبيب وطنيا بالمعنى الضيق للوطنية . فهو من المؤسسين الاوائل للحزب الحر الدستورى التونسى الى جانب الشيخ عبد العزيز الثعالبى واحمد الصافى والطاهر الحداد وغيرهم كما سنرى فى حينه .

ـ أصله :

ومحمد الحبيب ، حسب شهادة صديقه الهادى العبيدى فى الاربعينية التى أقيمت للفقيد يوم 14 مارس 1980 بدار الثقافة ابن رشيق ، هو مـن أصـل تركـي . قدم أجداده الاولـون الى تونس فى القرن الحادى عشـر للهجرة ، ونزلوا بمنطقة بنبلة من أراضى الساحل التونسى . ثم انتقل والده . أحمد

بن محمد الحبيب التركي الى تونس العاصمة حيث ولد له فقيدنا فى 20 أوت 1920 حسب ما أكده هو نفسه (1)

وكما هو واضح من نسب أبيه فان نسبة التركي كانت هى اللقب العائلى للاسرة . فهو محمد الحبيب التركى ، لكنه آثر فى وقت ما التخلى عن هـذه النسبة ، على أننا وجدناه فى كتاباته ينتسب الى مهنته فيمضى مقالاته ودراساته هكذا : محمد الحبيب المحامى .

ـ تعلمه وتكوينه الثقافى :

يظهر ان محمد الحبيب لم يختلف الى الكتاتيب شأن اطفال عصره . وهو ما ذكره لنا الهادى العبيدى فى الاربعينية حيث قال : ان محمد الحبيب نفسه لم يستطع أن يثبت لنا أنه تردد حقا فى طفولته على أحد الكتاتيب

أما تعلمه الابتدائى فكان أولا بمدرسة خير الدين الابتدائيـة ، فمدرسـة قرطاج حسب ما أورده محمد مواعدة (2) ، ثم بالمدرسة القرآنية الكائنة بنهج ابن عروس حيث تتلمذ للشيخ محمد مناشو (1884 ـ 1933) الذى كان من رجالات النهضة فى تونس ، ومن المولعين بالمسرح ، فهو مؤلف مسرحية « الانتقام » التى مثلتها جمعية الشهامة سنة 1911 ، وهى ثانى مسرحية بقلم تونسى بعد مسرحية محمد الجعايبى (1878 ـ 1938) « السلطان بين جدران يلدز » التى مثلتها فرقة ابراهيم حجازى فى نفس السنة .

وتتلمذ فى نفس هذه المدرسة أيضـا ـ كمـا ورد فى مذكراتـه ـ لمعلمين اثنين كان لهما أثر عى توجيهه الى المسرح كما سيأتى ، اذ كانا مغرمين بهذا الفـن الجديد عن تونس وقتئذ . همـا : محمد بن على بن جعفر معلم العربيـة ومحمد الخذيرى معلم الفرنسية (3)

---

(1) محمد مواعدة : حركة الترجمة فى تونس وأبـرز مظاهـرها فى الادب أطروحة شهادة التعمق فى البحث (المرحلة الثالثة) من الجامعة التونسية باشراف الاستاذ المنجى الشملى (نسخة مرقونة) : 177 .

(2) محمد مواعدة : ن. م.

(3) مذكرات محمد الحبيب حول تاريخ المسرح . الحلقة 17 جريدة بلادى ، عدد 23 جويلية 1979

وأما دراسته الثانوية فكانت بالزيتونة ، وبالخلدونية التى وجد فيها ما أكمل ثقافته العلمية ، اذ كان هذا المعهد يقدم دروسا فى العلوم العصرية واللغات الاجنبية لمن يرغب فيها من طلبة الزيتونة الذين حرمهم تزمت مشايخهم من تعصيرها وتحوير برامجها حسب مقتضيات العصر الجديد .

ولكن محمد الحبيب لم يكتف بما كان يجده فى حلقات دروس الزيتونة والخلدونية ، فاقبل على المطالعة يروى بها عطشه الى المعرفة والفنون . وقد وجد فى مكتبتى المعهدين السابقين وفى غيرهما ما يسد به حاجته تلك ، كما كان يشترى من المكتبات الكتب والمجلات التونسية والشرقية والاجنبية حتى كون لنفسه مكتبة ضخمة « فاذا لم يستطع يذهب الى صديقه البشير الخنقى فلا يغادره حتى ينتزع منه ما أراد » (4) .

وهناك عامل آخر أثر فى تكوين محمد الحبيب الى جانب الدرس والمطالعة . وهو مواظبته على حضور النوادى والجمعيات الثقافية التى لها نشاط غزير فى ذلك الوقت ، اذ وجد فيها التونسيون سبيلا يسرت الاتصال بالشعب وأداة صالحة لابراز الذات التونسية العربية الاسلامية أمام مستعمر لا هم له الا طمس هذه الذات بشتى الوسائل والطرق .

فمن هذه النوادى نادى جمعية قدماء الزيتونيين الذى أسسه بعد هدنة الحرب العالمية الاولى بنهج المدرسة السليمانية قرب جامع الزيتونة زين العابدين السنوسى ومحمد الحبيب ومحى الدين القليبى وأحمد الدرعى ومحمد صالح النيفر ، والهادى المدنى ، والهادى مزاح ، وعبد الرزاق سلام ، والطيب سلام ، وبلحسن بن شعبان ، ومحمد بن شعبان برئاسة الشيخ مناشو (5) وممن كان يحضر هذا النادى أيضا الطاهر الحداد ، وأحمد توفيق المدنى ، وعثمان الكعاك وغيرهم (6) .

وحضر محمد الحبيب كذلك نادى الخلدونية ، ونادى قدماء الصادقية ، ونادى مصطفى آغه ، ونادى الشاعر محمد الشاذلى خزنه دار ببلدة الكرم ، ونادى مطبعة العرب التى أنشأها زين العابدين السنوسى بنهج الديوان سنة 1927 وكان هذا النادى « ناديا أدبيا ينعقد فى العاشرة صباحا وينتهى

(4) عثمان الكعاك : ملف محمد الحبيب . دار الكتب الوطنية .
(5) جعفر ماجد : الصحافة الادبية بتونس (1905 ـ 1955) : 91 (بالفرنسية)
(6) عثمان الكعاك : ن. م.

في السابعة بعد الزوال ، ولا يتخلف عن هدا النادى آغـة ، والعبيـدى ، وكرباكة ، وخزنه دار ، وعبد الرحمن الكعاك ، وابو القاسم الشابى ، وعثمان الكعاك ، وعلى الخصوص الطاهر الحداد الذى كان دائما يقود المناقشات ... وهناك تؤسس جمعيات وتحل ، وتبنى مشاريع ثم تموت ... » (7)

ـ تقلباته :

أما الجانب المهنى من حياة محمد الحبيب فقد اشتغل أولا معلما بالمدرسة القرآنية الاهلية على عهد مديرها محمد مناشو ، وكان من تلامذته فيها الشاعر احمد خير الدين (1906 ـ 1967) ، والاستاذ الشاعر أحمد المختار الوزير ، وتوفيق بوغدير الناقد المسرحى المعروف ...

والظاهر ان عمله هذا هو الذى وجهه الى الاعتناء بالتآليف المدرسية مثل : الدروس النحوية ، الحلقة الاولى. ودروس في الفقه والتوحيد للمدارس القرآنية، الحلقة الاولى . طبعته له المطبعة الرحمانية فى مصر سنة 1346 هـ / 1926 م . وقطع مختارة من النظم والنثر للاستظهار ، وهو من الكتب المقـررة للسنـة الابتدائية بالفروع الزيتونية ، طبعته له أيضا نفس المطبعة سنة 1349 هـ / 1929 م ، واستمر على طبعه الى سنة 1951 التى ظهرت فيها طبعته العاشرة ، ولمحمد الحليوى نقد فيه (8) . ودروس في الاملاء والرسم . ولب التاريخ المطبوع فى سنة 1344 هـ ، ويبدو ان هذا الكتاب الاخير كان من الكتب المقررة فى الزيتونة حسب ما أورد عنه صالح المهدى فى كلمة التأبين حيث قال : « وأما فى مادة التاريخ فقد كان ثقة فى تحقيقاته متثبتا فى ما ينقله . وكان كتابه (لب التاريخ) معتمدا بجامع الزيتونة ، ودليل الطلاب عند دخولهـم للامتحان شهادة التحصيل » (9) ، وأما محمد الفاضل ابن عاشور فقد جعل هذا الكتاب من علامات النهضة فى النشر العلمي بتونس « لحسن صـوغـه وتنقيح عبارته . وان كان سلوك طريقة السؤال والجواب قد أضعف الروح الادبية فيه » (10) . وله فى هذا المجال أيضا مقالة (كيف يدرس التاريخ)

(7) عثمان الكعاك : ملف الطاهر الحداد . دار الكتب الوطنية .

(8) محمد الحليوى ، نشريات المكتبة العلمية بتونس مجلة التعليم العربى عدد جانفى 1931 .

(9) صالح المهدى ، الصباح 8 فيفرى 1980

(10) محمد الفاضل ابن عاشور ، الحركة الادبية والفكرية بتونس (ط. تونس 1972) : 153

نشرت فى نشرية مجمع الفوائد فى العلم والادب والتاريخ للجيلانى الفلاح سنة 1347 هـ .

وكان لتكوينــه الفكرى الواسع واهتمامه بالفنون خاصة أثر فى أن ينتدب مدرسا لها بالمعاهد التونسية المختصة . ففى سنة 1951 نجده أستاذا بمدرسة التمثيل العربى التى تأسست باقتراح منه كما سيأتى . وقد درس فيها بتكليف من مديرها حسن الزمرلى دروسا فى « الفباء المسرح » (11) التى نشر منهـا حلقتين . وفى سنة 1964 درس بالمعهد القومى للموسيقى والتمثيل والرقص محاضرات عن تاريخ الغناء العربى (12) . كما أنه ألقى فى السنة المدرسية 1968 ــ 1969 دروسا حول « نشأة الفن الادبى عند العرب » (13) ، ودرس كذلك بالمدرسة القومية لتجويد القرآن الكريم قواعد العربية من خلال نصوص القرآن الكريم الى آخر حياته (14) ... الخ ..

وكان لحياته المهنية لون آخر غير التدريس ، وهو الذى خصص له كـل جهوده ، ونعنى به القضاء . ففى الثلاثينات كان قد شارك فى مناظرة المنشئين بوزارة العدلية التى كان من أبرز ناجحيها فى تلـك الـدورة ، فعهـد اليـه بالاشراف على كتابة القسم الحنفى لمحكمة الديوان الشرعى ، وفيها ظهرت براعته القانونية خاصة فى تخريج الاحكام الشرعية . وقد كان عمدة مشائخ الاسلام والقضاة الى أن اضطرته وزارة العدل الى الاستقالة سنة 1947 بسبب وشاية به الى الباى بمناسبة تقديم جمعية الكوكب التمثيلى لروايته الواثق بالله الحفصى التى تشبه فى أحداثها الاحداث التى أدت الى تولى الباى محمد الامين (1943 ــ 1957) عرش تونس واغتصاب الحكم من الملك الشرعى محمد المنصف باى (1942 ــ 1943) الذى نفتــه السلط الاستعماريــة بمدينــة بــو وبها توفى سنة 1948 (15) .

---

(11) أدباؤنا بأقلامهم : حسن الزمرلى . الندوة س 4 عدد 7 . اكتوبر 1956 ص : 448

(12) راجع مجلة المعرفة (سوريا) س 3 عدد 34 ، ديسمبر (كانون الاول) 1964 : 179

(13) محمد بن الاصفر ، الصباح 8 فيفرى 1980

(14) صالح المهدى ، الصباح 8 فيفرى 1980

(15) صالح المهدى ، ن. م.

وانتقل محمد الحبيب بعد هذه الحادثة ، وبالتحديد في سنة 1951 ، الى مهنة المحاماة بدائرة التعقيب التي ظل يباشرها الى حين وفاته .

ـ الجمعيات والنوادي التي ساهم في تأسيسها :

أما نشاطه خارج مهنته فمتنوع وغزير بحكم الظروف التي كانت تعيشها تونس بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد كان من مؤسسي الحزب ، اذ حضر الجلسة التأسيسية الاولى بمنزل حمودة المنستيري بالمرسى بتاريخ 29 ماي 1920 من ضمن واحد وخمسين عضوا يتقدمهم السيدان عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي (16) . وتوالى حضوره في جلسات أخرى مثل جلسة 2 جوان 1920 (17) ، وجلسة 25 أوت من نفس السنة التي عقدت من أجل بحث امكانية الوفاق جمع جماعة الحزب الاصلاحي لحسن قلاتي المنشقة عن جماعة الحزب الدستوري . ومن خلال المناقشات الواردة في محضر الجلسة كما سجله أحمد توفيق المدني يبدو لنا محمد الحبيب متصلبا أمام التنازلات المقترحة . فقد جاء في تدخله قوله : لقد تنازلنا كثيرا بهذا المسعى من أجل الوفاق ...» (18)

وكان أيضا من المؤسسين لجمعية قدماء الزيتونيين التي مر ذكرها ، فقد شعر الزيتونيون بالحاجة الى تكوين جمعيـة تلم شملهم على غرار جمعية قدماء الصادقية . « وكان الشيخ محمد مناشو هو الذي يحرك فيهم ذلـك التطلـع وينميه ، ولكن الحكومة امتنعت عن الترخيص لهم في تكوين جمعية كما كانت امتنعت من قبل ، فاستمروا يعملون في نطاق ضيق » (19) . وسموا جمعيتهم « الجامعة الزيتونية » ، وأصدروا لها مجلة أدبية هي مجلد البدر . والظاهر أن دور محمد الحبيب في هذه الجمعية كان كبيرا ، فهو الذي عهد اليه بادارة هذه المجلة كما سيأتي ، كما عهد اليه أيضا بتأسيس مكتب لها ومتحف صغير في موقعها بالقشاشين » (20) .

وساهم محمد الحبيب أيضا في تأسيس المعهد الرشيدي للموسيقى العربية سنة 1934 (21) ، وذلك لحماية الموسيقى التونسية الاصيلـة مـن الهبـوط

---

(16) أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح الجزء الاول : 192
(17) ن. م. : 196
(18) ن. م. 209
(19) م. ف. ابن عاشور ، الحركة الادبية والفكرية ... : 140
(20) عثمان الكعاك ، ن. م.

والابتذال . وكان نشاطه في المعهد الرشيدي كبيرا ، حتى أنه تحمل فيه مسؤولية رئيس مساعد من سنة 1964 الى سنة 1973 ، اي تقريبا في نفس الفترة التي كان فيها صالح المهدي رئيسا لها . كما كانت دراساته عن الموسيقى العربية عموما والتونسية خصوصا خير مرجع للدارسين ، ونذكر هنا على الخصوص الاستاذ صالح المهدي الذي اعتمد عليه في تاليف كتابه : الموسيقى العربية ، تاريخها وأدبها (22)

ومن المشاريع التي شارك فيها محمد الحبيب حسب ما ذكر لنا صالح المهدي مساهمته في جمع التراث الموسيقى ، واليه يرجع الفضل كذلك في مراجعة نصوص المالوف ونشره . هذا الفن التونسي الاندلسي الاصيل الذي يعتبر أبرز تراث موسيقى في تونس اليوم . وكان محمد الحبيب من عشاقه حتى أنه كان لا يتخلف عن مهرجاناته التي تعقد في تستور عاصمة المالوف التونسي أو في غيرها من المدن التونسية التي تحمل خصائص أندلسية وتأوى أحفاد الجاليات الاندلسية المهاجرة الى تونس .

ومن المؤسسات التي دعا الى تكوينها مدرسة التمثيل العربي ، كما ورد بمجلة المسرح في ركن كوكب العدد الذي خصصته لحسن الزمرلي ، فقد جاء في هذا الركن انه عقد اجتماع « ضم محمد العابد مزالي وكيل ادارة العلوم والمعارف ، ومحمد الحبيب ، وصالح رضا الاحمر ، ومحمد زروق ، وعبد الجليل بن علي ، والبشير المتهني ، وعثمان الكعاك ، وحسن الزمرلي لبحث مشروع انشاء دروس في الفن المسرحي ، وأصبح عميد المسرح التونسي حينذاك الاستاذ محمد الحبيب على تأسيس مدرسة للتمثيل وايكال ادارتها لكوكبنا (أي حسن الزمرلي) ، وتعد هو والاستاذ عثمان الكعاك بالقاء الدروس بها ، فلم تجد ادارة المعارف والبلدية بدا من الخضوع لهذا الرأى الذى اتفقت عليه الاغلبية » (23) . وقد فتحت هذه المدرسة أبوابها في غرة فيفرى 1951 . وكان محمد الحبيب من مدرسيها كما مر بنا ، وعلى يديه تخرجت أجيال المسرح التونسي المعاصر .

وكانت له أيضا مساهمة في تكوين الجمعية التونسية للمؤلفين والملحنين التي تأسست في 21 جوان 1968 ، وانبثقت عن مؤتمرها التأسيسي الاول هيئة كان على رأسها صالح المهدي ، ثم خلفه عليها عبد المجيد بن جدو ...

(يتبع)

(21) راجع عن الرشيدية مجلة الاذاعة والتلفزة عدد 16 نوفمبر 1980
(22) صالح المهدي ، الموسيقى العربية تاريخها وأدبها . صدر عن الدار التونسية للنشر سنة 1979
(23) مجلة المسرح ، السنة الثانية ، عدد 4 (اكتوبر ـ ديسمبر 1960) : 33

مِنْ أغاني سيزيف الجديد

شعر: البشير المشرقي

بِرَغْم احتجابِ شُمُوسي أكُونْ ... فراشا يَهُزّهُ هَمْسُ الجُفُونْ
وَيَأخُذُ شكلَ المَسَافَاتِ وَجْدِي ... الشتَائيُّ .. يأخُذُ شكل الجنُونْ
وَيَهْمِي على مُدُنِ الليلِ شَوْقِي ... ويعبُرُ صوتِي ثَنَايَا السُّكُونْ
فيرقصُ صَفْصَافُنَا في انْتِشَاءٍ ... ويَحْلُو التَّوَغُّلُ عَبْرَ العُيُونْ

* * *

بِرَغْمِ دروبِي التي ضَيَّعَتْنِي ... أكون انْبِعَاثًا وَدَفْقَةَ عِطْرِ
وأخْتَصِرُ العُمْرَ حَتَّى كَأَنِّي ... غَدَوْتُ مع الرِّيحِ أعْدُو وَأجْرِي
أهَنْدِسُ في الصَمْتِ شَكْلَ حنيني ... إلى عَالَمٍ بِالمَفَاتِنِ يُغْرِي
كَمَا الليْلِ يشتاقُ للفَجْرِ دَوْمَا ... وموتُهُ يَعْنِي بِدَايَةَ فَجْرِ
فَلِلْحُسْنِ غَنَّيْتُ كُلَّ حَيَاتِي ... وَلِلْحُبِّ أهْدَيْتُ أعْرَاس شعري
وَمازِلْتُ مِثْلَ السَّفِينَةِ .. تَاهَتْ ... وَضَاعَتْ مَعَ المَدِّ فِي كل بَحْرِ.

* * *

رُبُوعَ بلادي إليكِ سأشْـدُو ... وَإنْ كُنْتِ في الحبِّ مَنْ ضَيعتنِي
أبَعْثِرُ فـوق دُرُوبِي وُرُودًا ... وأسكرُ بِالسِّحْرِ مِنْ كُلِّ فَنِّ
وأغرقُ في نَزَوَاتِي وأعْـلَمُ ... أنّ الملذّاتِ أحلَاك سِجْنَ

وَرَغْمَ التّوغّل في الحُلْم تبقى المسَاحَةُ ضَيِّقَةً .. لمْ تَسَعْنِي
أَتُوقُ .. أتُوقُ إلى ألْف كَوْن بَعيدِ المَدَى.. حجمُه عمقُ حزني
ولكنّ رِحْلَةَ حُلْمِي ضَبَـابٌ وَأَجْنِحَةُ الوَهْمِ دُونَ التّمَنّي

★ ★ ★

بِرَغْم احتجَاب شمُوسي سأشدُو وَلَيْلُ حَنينِي بِـلاَ آخِـر
وأسكرُ .. فالكونُ حولي كؤُوسٌ تَرِفّ اشْتيَاقاً إلى السّـامِـر
فإنّي غدًا .. سوفَ يَرْحَلُ ظِلِي وَيَعْدُو مَعَ الزّمَنِ العَابِـر
وَتَبْقَى المَوَاوِيلُ بَعْدِي ظَمْأى إلى الحُبّ .. في عَالمٍ سَاحِـرٍ ..

البشيـر المشرقـي

ننشر فى الاعداد القادمة

رسالة الدوبيت

بقلم : محمد العنابي

سألتني ـ حرسك الله من الشبهة ـ عن حقيقة الدوبيت وطبيعته وخصائصه ؛ فاعلم أنى كنت عرفت الدوبيت من خلال بعض الموشحات والقدود والأغاني ؛ وكنت أريد أن أهتم به لأعرف حقيقته . ولكن رجوعه الى أصل فارسي مع جهلى بالفارسية كان مما يقعدني عن الطلب إذ لم يكن بوسعى أن أنفذ اليه بصفة مباشرة . أضف الى ذلك أن كل ما كنت أعرف منه من النماذج العربية لم يكن يتجاوز العشرين أو الثلاثين بيتا كلها موضوعة للتلحين والغناء ؛ والعاقل لا يطمئن الى ذلك ولا يثق به إذ لا يستبعد أن يتصرف الملحن فى الشعر نزولا عند مقتضيات اللحن فلا يكاد الباحث يعرف إن كانت التحولات قديمة أصيلة أو طارئة دخيلة ؛ وهو ما يسىء الى البحث ويعرض نتائجه الى الخطا .

ومؤخرا مر على بالى ذكر مقال لشارل بلا كان قد نشره فى حوليات الجامعة التونسية تحت عنوان : « عماد الدين الاصفهانى صاحب دوبيتات » (1) ولما كنت ناشطا للبحث متفرغا له رجعت اليه لاطلع على ما فيه لعلى أقف على ما يكون لى منطلقا للشروع فى الأبحاث .

هذا وقد قام شارل بلا بدراسته للدوبيت بالاعتماد على كتب العروض من جهة وعلى شعر عماد الدين الاصفهانى من جهة أخرى ، ثم إنه لم يشأ أن يجعل بحثه وقفا على ميزان الدوبيت بل تخطاه الى أغراض الدوبيت عند العماد وأساليبه ومعانيه ، كما أورد مجموع الدوبيتات التى اعتمدها فى دراسته .

وأما أنا فانى أريد أن أقتصر على النظر فى إيقاع الدوبيت كما ورد فى ديوان عماد الدين الاصفهانى إذ ليس بين يدى أثر سواه . ولكنى ، خلافا

(1) حوليات الجامعة التونسية . عدد 12 لسنة 1975 .

لشارل بلا الذى أوكل أمره الى العروضيين حتى تورط فى الخطا ، سأعول على نفسى فى فتح الملف من جديد إذ قد أصبحت لا أثق بهم فى شىء ولا أطمئن إليهم ولو قدر حبة خردل .

ما هو الدوبيت ؟ هو شكل شعرى متميز بطبيعته عن القصيدة كما تتميز عنها الأرجوزة والموشح ، وهو نظم الكلام فى مجموعات أبيات تتألف كل مجموعة منها من بيتين ومن هنا جاء الاسم « دوبيت » . وهو كلمة مركبة من الكلمة الفارسية (دو) بمعنى اثنين ومن الكلمة العربية (بيت) ، وهى كقولهم (ساتار) وهى كلمة مركبة من لكلمة ألفارسية (سا) بمعنى ثلاثة ومن الكلمة العربية (وتر) محرفة والجملة (ساتار) أى الآلة ذات الثلاثة أوتار وهى آلة موسيقية كثيرة الاستعمال فى إيران . واذن فالدوبيت هو ما يقابل فى الفرنسية كلمة Distique .

ولكن ما يتميز به الدوبيت عن القصيدة والموشح هو أنهما اذا كانا ينظمان فى جميع الاوزان فانه كالأرجوزة لا ينظم إلا فى وزن واحد (١) . فتكون الأرجوزة فى وزن الرجز ويكون الدوبيت فى وزن الدوبيت . وهو فى عرف العروضيتين :

فعلن متفاعلن فعولن فعلن

– ∪ ∪ – – ∪ – – ∪ – – –

وهنا تبدأ الصعوبة ؛ إذ لا نكاد نعرف إن كان الاسم (دوبيت) يطلق على معنى الشكل الشعرى le forme poétique أو على معنى الايقاع الشعرى le Rythme ولا بد من التمييز بين الامرين إذ ليس شأن الدوبيت أو الرباعية إلا كشأن الكتران le quatrain فى الشعر الفرنسى ينظم فى وزن الألكسندران L'alexandrin أو فى غيره . فيطلق الاول على معنى الشكل الشعرى ويطلق الثانى على معنى الميزان الشعرى . ولكن من الواضح أن الذين وضعوا كلمة (دوبيت) إنما أشاروا فيها الى الشكل الشعرى دون اعتبار للايقاع المنظوم فيه الشعر . ويتألف الدوبيت فى شكله من أربعة أشطر (ـأ ـأ ـأ ـأ) أو (ـأ ـأ ـب ـأ) باعتبار الروى ومنها جاءت كلمة الرباعيات .

ولكن لنترك شكل الدوبيت جانبا فانه لا يهمنا ولنوجه اهتمامنا الى إيقاع الدوبيت عسى أن نبدد ما حيك حوله من الأوهام لاستكناه حقيقته واستجلاء

---

(١) كما هو فى الأصل لا كما قد يكون فى استعمالات حديثة .

أمره فانه هو ما يلعب دورا أساسيا فى التعبير الشعرى دون الأشكال والقوالب .

فأما العروضيون فانهم يقسمون الشطر الى أربعة أجزاء : (فعلن متفاعلن فعولن فعلن) . وهو ما يؤيدهم فيه شارل بلا تأييدا مطلقا . وهو ما يسمونه الوزن الأساسى أو الوزن النظرى للدوبيت . ولكنه يظهر فى صور مختلفة عند الاستعمال تأتى من قبل الزحاف . وجدير بالملاحظة أن شارل بلا لم يستعرض من الزحافات أو من العلل إلا ما جاء فى دوبيتات العماد الاصفهانى التى عليها خاصة اعتمد فى دراسة الدوبيت وهو موقف محمود سأجاريه فيه مضطرا إذ ليس بين يدى شىء من الآثار الشعرية سوى ما ورد فى دراسته .

ولكن ما هى السبيل التى سلكها شارل بلا فى بحثه وما هى النتائج التى انتهى إليها ؟

فأما السبيل التى انتهجها فهى سبيل التبعية والتقليد سبيل من لا يثق بما عنده فلا يعول على نفسه وباختصار سبيل من لا يستطيع أن يخالف القدماء فى كبريات الأمور . وهو ما يبدو واضحا من قوله : صفحة 9

« **الآن وقد وجدنا فى كتب العروض نقطة انطلاق لا تخلو من فائدة لدراسة دوبيتات العماد ينبغى أن نعتد بالوزن الأساسى أو النظرى الذى بيناه أعلاه ونقيس عليه ما ورد فى الديوان** » .

ولعمرى لا أدرى ما هى قيمة الدراسة التى يزمع أن يقوم بها اذا التزم فيها بالوزن الأساسى أو النظرى الذى وضعه العروضيون !

ثم يمضى الباحث فى تحليل الرباعيات تحليلا عروضيا يتقرأ فيه المقاطع والحروف بحثا عن تفعيلة ملائمة كما كانوا يفعلون فى الأطوار البدائية من القرون الوسطى . فيفضى به البحث الى رسم الجدول الآتى :

I	2	3	4
فعلن – –	I) متفاعلن ⏑ ⏑ – ⏑ – 2) متفاعيلن ⏑ ⏑ – – – 3) متفاعيل ⏑ ⏑ – – ⏑ 4) مفعولات – – – ⏑ 5) مستفعلن – – ⏑ – 6) متفعلن ⏑ – ⏑ –	فعولن ⏑ – –	فعلن (الضرب الأول) ⏑ ⏑ – فعلن (الضرب الثانى) – –

ومعناه أن الشطر من الدوبيت يتألف من أربعة أجزاء :

1) **الجزء الأول :** (فعلـن ـ ـ) وهو ثابت لا يتحول إطلاقا ، وذلك كما في هذا البيت :

(هبت) سحرا فهيجت وسواسى (نشـوى) خطرت عليلة الأنفـاس
ـ ـ ـ ـ

2) **الجزء الثانى :** (متفاعلـن ں ں ـ ں ـ) وذلك كما فى هذا البيت :

ما أشـ(ـوقنى إلى) ليـال سلفـت نفسى (أسفـا عـلى) مناها تلفـت

وتعتريه تحولات كثيرة :

أ ـ (متفـاعيلـن ں ں ـ ـ ـ) وذلك كما فى البيت الآتى :

من علـ(ـلم أعطاف الـ)ـقدود الميلا من صيـ(ـير قلبى رهـ)ـن هم وبلا

والميل بفتح الياء ، والروى (بلاء) بحذف الهمزة .

ب ـ (متفاعيل ں ں ـ ـ ں) وذلك كما فى البيت الآتى :

كم أصـ(ـبر والعمر) مع الدهر يفوت كم أعـ(ـرض عن نطق) عذولى بسكوت

بسكون تاء الروى (فعـلان) .

ج ـ (مفعولات ـ ـ ـ ں) وذلك كما فى الشطر الاول من هذا البيت :

فى قلـ(ـبى من شوقـ)ـك حزن وكمد لم يبـق على الغـرام للقلـب جلـد

د ـ (مستفعلن ـ ـ ں ـ) وذلك كما فى الشطر الاول من البيت الآتى :

هـذا (قلبـى أعـز) ز ما أمتلـك عـذبـه فمـا عليـك منـه درك

هـ ـ (متفعلـن ں ـ ں ـ) . وذلك كما فى الشطر الاول من هذا البيت :

مـا إن (فقـد عشـر)ـت أن تنعشنى مـا أوحشنـى بعـدك ما أوحشنـى

3) **الجزء الثالث :** (فعولن ں ـ ـ) وهو ثابت لا يتحول إطلاقـا وذلك كما فى هذا البيت :

هبت / سحرا فهيـ(ـيجت وسـ)ـواسى نشوى / خطـرت عليـ(ـلة الأنـ)ـفاس

4) **الجزء الرابع** : وهو على ضربين :

أ ــ الضرب الأول : (فعلــن ں ں ــ) وذلك كما فى البيت الآتى :

من علـم أعطاف القدود الـ(ـميلا) (من صير قلبى رهن هم (وبــلا)

ب ــ الضرب الثانى : (فعلــن ــ ــ) وذلك كما فى البيت الآتى :

لا غــرو اذا تنفس المكـ(ـروبـو) فالوجـد على فواده مشـ(ـبوبــو)

ذلك ما انتهى اليه شارل بلا من تحليل دوبيات العماد من الناحية الوزنية. وهى نتيجة أقل ما يقال فيها : إنها ضعيفة حتى لو نظرنا اليهـا من زاويــة عروضية . وذلك لأنه أضاف الى قائمة التحولات التى تعتــرى الجــزء الثــانى تحولين يحمل بهما الدوبيت ما لا طاقة له به وهمـا (متفعلــن ں ــ ں ــ) و (مفعولات ــ ــ ــ ں) فهما لاغيان . وإن وجودهما فى قائمــة التحــولات الأخرى لخليق أن يورط الباحثين لتضاؤلهم أمام شهرة شارل بلا فلا يقدمون على مخالفته وهو مخطىء .

1) فأما التحول (متفعلــن ں ــ ں ــ) فيلغى لسببين :

أ ــ أولهما أنه لم يرد إلا فى شطر واحد من مجمـوع 344 شطـرا فكــان استعماله ــ اذا صح القول ــ بنسبة 0،3 فى المائة . ولا يفـوتنى أنه سبب واه لا يكفى لالغاء التحول المذكور . ولكنه ، مقرونا الى السبب الثــانى ، يصبــح اعتباره أمرا لا مناص منه .

ب ــ والثانى أن الشطر المذكور مناف لفصاحة التركيب بما اشتمل عليه من التعقيد اللفظى والمعنوى . وهو الشطر الثالث من الدوبيت الآتى :

البعــد عــن الحبيــب قــد أدهشنــى والشــوق إلى زلالــه أعطشنــى
مــا إن فقــد عثــرت أن تنعشنــى مــا أوحشنــى بعــدك مــا أوحشنــى

وواضح أن هذا التعقيد انما قد أتى من قبل التحريف فى قوله (ما ان فقد عثـرت) الذى يجتمع فيه على فعل واحد (عثرت) نفى مؤكد (بما النافية وإن الزائدة) فى (مــا إن) وإثبات محقق بـ (قــد) فى (فقــد) وهو ما لا يكون فى العربية إذ لا نستطيع معه أن نعرف إن كان الفعل منفيا أو مثبتا . والخطأ بوجه التحديد فى (إن) بسكون النون . فالتحريف فى ذلك الموضع حقيقة لا جدال فيها والتحول فى نظرى لاغ لا سبيل إلى إقراره إطلاقا .

هذا وجدير بالملاحظة أن شارل بلا قد اعتمد فى دراسته على مخطوط قديم يقول فى شأنه ما يأتى :

« لقد اعتمدت لتحقيق المجموع الآتى على مخطوط ليـدن رقم 1592 ... ثم يجب أن أقول : إن خط المخطوط جميل ولكن الناسخ أهمل أكثر النقط وإن شكل بعض الكلمات . فأسكت عن الاشارة الى عدم التنقيط كلما كان النص غير مشكوك فيه » .

كما يجدر بنا أن نشير الى أن شارل بلا ربما تصرف فى النص الأصـلى بما يسىء اليـه ويحيـد بـه عن معنـاه ـ وإن كان يشيـر الى ما كان عليـه فى المخطوط ـ ، ومن ذلك هذا الذى أتى فى الدوبيت الاول ويـدرجه فى مقـاله هكـذا :

العيـش إذا وصلـت مـا أحـلاه والأفـق إذا طلعـت مـا أضـواء
صـل ذا سقـم رجـاك أن تبـراه إن أنـت هـديتـه بمـا أهـداه

ويشير ، فى خصوص كلمة (بما) الواردة فى الشطر الرابع الى أن أصلهـا فى المخطوط هو (هديته مما) . ولما كان الوزن لا يستقيم لذلك فقد رأى من المناسب أن يصلحه بتحويرها الى (بما) . ولكن قد فات الباحث أن تصرفه هذا اذا كان يحسن الى الميزان فانه يسىء الى المعنى إذ أصبح هذا الشطر كلاما لا معنى له . وواضح أن الشاعر لم يقل (مما) ولم يقل (بما) ولم يقل إلا (فما) بمعنى التعجب (إن أنت هديته فما أهداه) . والشبه كبير فى الكتابة بين الميم والفاء عند إهمال التنقيط وانحراف الخط . ولئن أفضت القول فى هذه المسألة الجزئية فلأؤكد على واقع التحريف الذى يدخـل على الآثـار فى المخطوطات القديمة فى مثل قول العماد : (ما إن فقد عثرت أن تنعشنى) .

2) وأما التحول (مفعـولات ـ ـ ـ ں) فانه وقع فى ثلاثة أشطر فى ظروف يجوز فيها تحريك الساكن وتسكين المتحرك .

أ ـ فأما أحد الأشطر الثلاثة فهو الآتى :

فـى قلـ(ـبى من شوقـ)ـك حـزن وكمـد
(ـ ـ ـ ں)

وهو موضع يجوز فيه تحريك ياء المتكلم فيصير الجزء (متفاعيل ں ں — ں)

ب ـ وأما الثانى فهو الآتى :

مـن عيـ(ـنـى فالقلـب) مـن العيـن زرى
(— — — ں)

بضم الزين وكسر الراء . وهنا أيضا يجوز تحريك ياء المتكلم . فيصير الجزء (متفاعيل ں ں — ں) **أيضا** .

ج ـ وأما الثالث فهو الآتى :

أخفـى (سـرى وهـو) بـدمـع فـاش
— — — ں

وقد قرأها الباحث بسكون هاء الضمير (هو) وتحريك واوه . وهنا أيضا يجوز تحريك هاء الضمير بالضم وتسكين واوه . فيصير الجزء (مستفعلن — — ں —) . ولو كان الباحث من أهل الاختصاص لما فاتته هذه الأشياء على بساطتها .

وإذن فان التحول (مفعولات) هو أيضا لاغ لا سبيل الى إثباته إطلاقا وكذلك تصبح صور الجزء الثانى من شطر الدوبيت كما ورد فى رباعيات العماد ، أربعة لا أكثر ولا أقل .

ذلك وزن الدوبيت كما يراه العروضيون وكما يراه شارل بلا .

ولو دعيت الى تدبر إيقاع الدوبيت لسلكت غير طريق العروضيين ولتحسست الحركة بأذنى قبل أن أتقرأ المقاطع بعينى وأتدبر الأجزاء بفكرى ولبحثت عن الدورات الايقاعية قبل أن أبحث عن التفاعيل العروضية ولطلبت كميات الوقت وكيفيات النظام وتعادل التشكلات الايقاعية كما هى فى الواقع الفنى قبل أن أطلب التفاعيل كما هى فى الأصل النظرى . وإنى لأعجب من قوم يتلمسون الايقاع فى عالم النظريات ويغفلون تلمسه وتحسسه فى واقعه الشعرى .

فاذا تحسست بأذنى حركة الدوبيت وجدت إيقاعا يشبه الى درجة كبيرة حركة الرمل . فاذا رجعت الى الشعر وجدت أبياتا من هذا الصنف :

النموذج الأول :

الـورد بخـديـك متى أقطفـه   والغصـن لعطفيـك متـى أعطفـه

فاذا التمست فيه تفعيلة الرمل (فعـلاتـن ں ں ـ ـ)

الـــــور	د بخـديـ	ـك متى أقـ	ـطفهـــو
ـ ـ	ں ں ـ ـ	ں ں ـ ـ	ں ں ـ
فعلـــن	فعـلاتـن	فعـلاتـن	فعلـــن
والغصـــ	ـن بعطفيـ	ـك متى أعـ	ـطفهـــو
ـ ـ	ں ں ـ ـ	ں ں ـ ـ	ں ں ـ
فعلـــن	فعـلاتـن	فعـلاتـن	فعلـــن

ـ واذا هذه التفعيلة (فعلاتن ں ں ـ ـ) تتركز مرتين فى كل شطر .

ـ واذا تفعيلة الضرب (فعلن ں ں ـ) هى مما يتفق فيه الدوبيت والرمل.

ـ واذا نظام التفعيلتين (فعلاتن) و (فعلن) فى الدوبيت هو نفس النظام الذى يكون لهما فى الرمل (فعلاتن فعلاتن فعلن) .

واذا نحـن اذا خلعنـا من أول كـل شطـر قيمـة مقطعيـن ممـدودين (فعلـن ـ ـ) نقع على كلام لو استقل معناه بنفسه لكان بيتا رملا .

فاذا كان الامر كذلك فان الدوبيت هو رمل أدخلت عليه زيادة تتمثل فى مقطعين ممدودين (فعلـن ـ ـ) فى أول كل شطر عملا بمبدإ القيمة المزيدة la valeur ajoutée التى عليها اعتمد العـرب فى استنباط إيقاعاتهم القديمة وحتى فى وضع بعض إيقاعاتهم المستحدثة بعـد الاسـلام كالسلسلة والقاعدة .

أ ـ السلسلة (1) : (فعلـن فعـلاتـن متفعلـن فعـلاتـن)
ـ ـ

ويتألف هذا الايقاع من ميزان الخفيف مع زيادة عنصرين ممدودين (ـ ـ) فى أول كل شطر عملا بمبدإ القيمة المزيدة .

ب ـ القاعدة (2) : (فعلـن فعـلاتـن متفعلـن فعـلاتـن فـع)
ـ ـ ـ

(1) ، (2) راجع كتاب : « نظرية إيقاع الشعر العربى » لمحمد العياشى .

ويتألف كذلك من الخفيف مع زيادة عنصرين ممدودين (– –) فى أول الشطر وعنصر ممدود (–) فى آخره عملا بمبدإ القيمة المزيدة . كالذى قامت عليه الايقاعات العربية القديمة وحتى الايقاعات الهندية القديمة بشهادة الموسيقار الفرنسى ميسيان .

فاذا طبقنا هذه التفاعيل على تفاعيل العروضيين :

فعلـــن	فعــلاتــن	فعــلاتــن	فعلـــن
– –	∪ ∪ – –	∪ ∪ – –	∪ ∪ –
فعلـــن	متفــاعيــ	ــل فعولن	فعلـــن

وجدناها تنطبق على الجزء الثانى (متفــاعيــل ∪ ∪ – – ∪) الــذى يعتبــره العروضيون تحولا عن (متفــاعلــن ∪ ∪ – ∪ –) خطأ . ولو عكسوا لأصابوا لأن (متفــاعيــل) هى ما ينطبق على الرمل انطباقا كليا . فهى هى الأصــل و (متفاعلن) تحول عنها . ولئن كانت (متفاعلن) هى ما رشحه العروضيون ليكون أصلا دون (متفــاعيــل) فلأنهــا هى التفعيلــة العروضية الخليلية . وأما (متفاعيل) فلا يصلح مثلها إلا لأن يكون تحولا إذ لا وجود لها فى علم العروض فيهتمون بالتفاعيل ويهمــلــون الحــركة الايقــاعية التى لم تجعــل التفاعيل إلا لتجسيمها . وبدلا من أن يقدوا التفاعيل قد الحركة الايقاعية إذا هم يقدون الحركة الايقاعية قد التفاعيل كما يتجسم بوضوح فى هذه الدورة.

فــعـــلاتــن	فــ
متفـــاعيــ	ــل

فتتمزق الايقاعات وتختلط الدورات وتتخرم الكميات والكيفيات لانه اذا كانت

(فعلاتــن	فعلاتــن)	=	(متفاعيــل	فعولــن)
∪ ∪ – –	∪ ∪ – –		∪ ∪ – – ∪	∪ – –
2 2 I I	2 2 I I		I 2 2 I I	2 2 I
6	6	=	7 ≠	5
I2			I2	

بما يحقق التعــادل الكمــى والكيفــى بين الكميتين اللفظيتين فى إجمالهمــا (I2 = I2) وبيــن الــدورتين (فعــلاتــن) و (فعــلاتــن) (6 = 6)

كما اقترحنـاه فانـه لا يتحقـق بين دورتـى الطـرف الثـانى من المعـادلة (متفـاعيـل) و (فعـولـن) (7 $\neq$ 5) . وهو ما تسبب فيـه تضخـم إحدى الدورتين على حساب الأخرى .

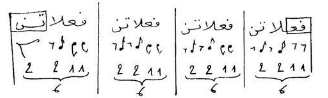
ونعود الى إيقاع الدوبيت وقد ثبت لدينا أنه إيقاع الرمل مع زيادة قيمـة عنصرين ممدودين فى أوله . ونطرح هذا السؤال : ما قيمـة تلك الزيـادة بالنسبة الى الرمل وما تأثيرها وهل تخـرج بـه عن حـده وتغيـر طبيعتـه وصبغته ؟ والجواب هو أن هذه الزيادة لا تفقد الرمل صبغته ولا تنحرف به عن طبيعته ولا تغير شيئا من كمياته وكيفياته . فالدوبيت هو الرمل بعينه وقع التصرف فى استعماله بما لم يكن مألوفا عنـد القدمـاء . ولنتـأكد من أن الدوبيت هو الرمـل لا أكثـر ولا أقـل يكفـى أن تعـوض (فعلـن — —) بـ (لاتـن) و (فعلـن ں ں —) بـ (فعـلا ں ں —)

لاتــن	فعــلاتــن	فعــلاتــن	فــعــلا
— —	— — ں ں	— — ں ں	— ں ں

لتدرك أن الجزء الأول (لاتـن) ما هو فى الحقيقة إلا دورة الرمل (فعـلاتـن) أسكت عنصراها الخفيفان (ں ں) أو (فعـ) عملا بمبدإ الاسكات وأن الجزء الرابع (فعـلا ں ں —) ما هو فى الحقيقة إلا دورة الرمل (فعـلاتـن) أسكت عنصرها الطويل الثانى (تـن —) عملا بمبدإ الاسكات أيضا .

فـعـ	لاتـن	فعلاتـن	فعلاتـن	فعـلا	تـن
↓	فعلـن	متفاعيـ	ـل فعولن	فعلـن	↓
سكوت					سكوت

ولقد كنا قبلنا سكوت (تـن) فى (فعـلاتـن) فى ضرب الرمـل حتى صارت (فعلـن ں ں —) لتلوين الختم (لتنويع الأضرب) فما يمنعنا من أن نقبل سكـوت (فعـ) فى (فعـلاتـن) حتى تصير (لاتـن) أو (فعلـن) لتلوين البدء . ومعلوم أن للأذن يـدا فى إدراك هذه الدقـائق والجزئيات ؛ وعليها وحدها يعتمد أهل الفن فى ممارسة الايقاع على خـلاف العـروضيين الذين تقاصرت أيديهم عن مناله . ويكون ترقيم ذلك الشطر كالآتى :



وذلك الرمل فى أربع دورات منـه سلمت منهـا دورتـان وعولجـت دورتـان بالاسكات لتلوين البدء والختم .

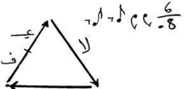
وقبل أن ننتقل الى التحولات التى تعترى الرمل فى الدوبيت يليق بنا أن نحلل الرمل الى نواه المؤسسة لنفهم طبيعة تلك التحولات . يتـألف الرمـل (فعـلاتـن) من ثلاث نوى تأسيسية :

أ ـ نـواة خفـة (فعـ ں ں) وتتـركب من عنصرين خفيفين مقصـورين يستغرقان وقتين .

ب ـ نواة ثقل (لا ـ) وتتألف من عنصر ثقيل ممدود يستغرق وقتين .

ج ـ نـواة ثقـل (تـن ـ) وتتألف من عنصر ثقيـل ممدود ويستغـرق وقتيـن .

والجملة ستة أوقات فى ثلاث حركات فهو إيقاع ثلاثى Rythme ternaire



ذلك الرمل كما هو فى أصله وكما نعرفه فى شعر العرب وكما ظهر لنا من خلال النموذج الأول من نماذج الدوبيت . وهو الذى يكون جزؤه الثانى عند العروضيين (متفـاعيـل) والذى هو عندنا أصل الدوبيت وما عداه تحول .

(يتبـــع)

محمد العيــاشى

سيارتي

شعر: رجب بن مهني

يهمس الريح من الشباك هيا ... فأحث السير في دربي قليلا
واذا المقود ما بين يدي ... يتخطى الجسر والحقل الجميلا
غايتي ، خلف حدود الافق لكن ... بعض ساعات تبيد المستحيلا
ضمني الكرسي ضما فاذا بي ... صرت أسعى جالسا سعيا طويلا
تترامى الارض خلفي وأمامي ... ثم تنوى تحت أقدامي الرحيلا
جبل ، يبدو بعيدا واذا بي ... بعد وقت لم يطل يبدو جليلا
هو ذا سهل يمينا قد تراءى ... واذا المقود ينوى أن يميلا
فاعبري سيارتي السهل وسيري ... أنت لا تخشين في السير السهولا
أنت لا تخشين في السير هضابا ... بل تجيدين مع الصعب الحلولا
صوت « فيروز » بقربي يتغنى ... يصبغ الأنس ، ولو كنت ملولا
أين من عصرك في الاسفار عصر ... كان فيه المرء يختار الخيولا ؟
احذري في السير أن تنحرفي شيـ ... ـئا وأن لا تدركي ذاك السبيلا
احذري في السير أن تنزلقي شيـ ... ـئا.. أنا أخشى عن الدرب العدولا

ننشر في الاعداد القادمة

دراسة : د. محمد فاضل الجمالي .....الاتحاد العربي أمنية ومشاكل
قصيد : أبي وجدان ....في مستوى الجدل
دراسة : دة. رياض الزغل ....الجامعة التونسية والتعريب

وأعـود إليكـ ...

قصة : بنت البحر

أين أنت ؟ تغوص في إعصارا مفجرا ؟ تسحقني بين ذراعيك أو أنيابك !.. تدفنني بين ذراعيك ، في فراشك ، أو في سجنك ؟

أين أنت ؟! والظلمة القادمة اليوم مهولة !.. والليل المبتلع الحافلة العجوز رهيب !..وأنا على أحد مقاعدها الممزوقة ، أنكمش في ركنـي .. في حضني أوراق تهتز مع اهتزازات الحافلة القديمة ...

أين أنت ؟ بقسوتك وجفافك ، أو بعواصفك وفيضاناتك ؟! أعود اليك ، أحمل فشلي وحزني ! أعود اليك ، على حدة أنيابك أقوى من قسوة أتعابي ، عليها تكسرها وترميها للجحيم !

* * *

كنت تصرخ ثائرا :

ــ لن تجدى شيئا ! كلهم فارغون ! كلهم طبول جوفـاء ! لن تحصـدى شيئـا !

* * *

الظلمة تبلع الطريق فلا تبقى إلا مسافة ضوء الحافلة . والاشجـار تهجـم عليك من جانبي الطريق.. مجرد جذوع حمراء ، تمتد بسرعة مهولة.. تتتابع.. تقفز لتسقط عليك .. تكاد تسقط على رأسك المحموم ... والحافلة تهـرب ، فتقفز الأشجار الى الامام ، وتضع كل الراكبين في سجن من جذوع غليظـة هائلة متتالية ، لا تنتهي ... وأنا ، لهفى ، أعود اليك !

أين أنت ؟؟ فسجنك أرحم ، وسجنك لا يشعرني بهذا البرد الذى يتسلقنى ٠٠٠ وفى سجنك أنسى ٠٠ أنسى ٠٠ أنسى ؟ ٠٠

* * *

أنت بدون عقل ! لم تسافرين ؟ ... كل يفكر فى نفسه ، فى ملء جيوبه ، فى استغلال الآخرين ! لن يعينك أحد بلا مقابل ... أنت حرة !.. ولكن ستندمين !

* * *

اغمضى عينيك ! فقد تعبت ! ترجرجك العجوز الوسخة .. تخض رأسك.. تهز بعنف أوراقك العائدة وترتعش جفونك .. فتسقط عيناك من جديد على الرؤوس السوداء حولك ... بجانبك ... تهتز وهى تمضى فى سجنها نحو ظلمة الطريق الخرب .

* * *

الطريق هناك ، كان باب جنة رضوان الموعودة ! لم تبالى بالسيارات المجنونة الرائحة والغادية ، لم تسأمى صوت محركاتها المتداخل المدوى ، لم تسأمى صوت المدينة النشز الذى طالما لعنته ، لم تتعب عيناك من زحامها وتشنجاتها ، غفرت للمدينة كل ذنوبها ، فقد بدا لك كل شىء هامشيا تافها صغيرا أمام ما كان يملأ رأسك .

سرت الطرقات الطويلة الخانقة الى أن وصلت . وقفت لحظة أمام البناء الضخم العالى ، وأوراقك المقدسة فى ملف تحت ذراعك ، وابتسامة ترقص على شفتيك . كان حلم أخضر وردى يحلق فى سمائك ... اقترب منك ، مرفرفا فوقك ، يفتح لك باب السعادة والخلود .

وطئت أول الدرج ، ودقات قلبك تتسارع وتعلو وتطغى على أصوات الحافلات والسيارات والابواق .. ويعلو صوت حلمك القديم مع دقات قلبك يرسل نغما سحريا يفتح لك الابواب الموصدة . لا ! لم توصد الابواب ! لقد فتحوها لك من خفقة الجناح الاولى ، ورحبوا بك ، فادخلى آمنة واثقة !

* * *

يا لسخرية المرارة تعصر فى فمى ! أين أنت أعود اليك ؟! كأس شراب شرس أنت ! صفعة فحل تنقذ من حلم ! ترياق مخدر يفرض النسيان !

أين أنت أعود اليك ؟ بعد يوم طويل فى مدينة جائعة ، عطشى ، جشعة ... ومع ذلك ، وددت لو أبقى أكثر ، لو أجوب كل شوارعها ، كل دورها ، أبيع سلعتى البائرة .

* * *

طرقت أصابعى باب المدير بلطف . وحين سمعت صوته يأذن لى ، جرتنى قدماى الى الداخل .

كانت على وجهه بسمة رضا وترحاب . فقد عرفنى من زمان .. أشار بالجلوس ... ورقصت فرحة خجولة بين ضلوعى . وأحسست برفة العصفور النزق فى صدرى يستعد لفرحة لا تنسى ، يهنأ بها الاحباب والاصحاب ، والجيران والابعاد ... فرحة لم يعرفها العمر رغم حامى بها كل العمر ...

وقربنى حلمى الجميل من المكتب – رغم ترددى – أقدم الملف والاوراق . وانطلق لسانى يسبق يدى المترددة يسأل برداءة عن ملف الساعات الاخيرة من الليل والاوقات المهربة من الزمن ... هل يكون لمولود الليل نصيب من نور النهار ؟؟...

..يدى خائفة ممسكة بكنزها ، ولسانى المتلعثم المتردد يكشف اتعابه وأبواق السيارات وهديرها وصخبها يتسلل حتى أعماق المكتب وشىء من ضوء وضباب وسحاب يحيط بى .

مضطربة أجلس ، ولسانى يتحرك .. بداية من أيام الصبا ، عرفت ولادتى على صفحات متفرقة يمسح بها زجاج النوافذ ، وتحملها الرياح فى الطرقات ، وأحيانا تدوسها الاقدام ، وتدفن فى قبور المزابل ، وخوف الموت يترصدنى فى كل مكان وفى كل وقت ، وخوف الموت يتبعنى حتى الفراش فيبدو حفرة ، ويبدو الغطاء كفنا .

ثم تخفت الاصوات ، وتموت المدينة ، ويجمد الطائر الخافق المنتظر حين تنفتح شفتاه عن ابتسامة وينفتح فمه بالكلام .. ويهدأ كل شىء . وترقب الفرحة البكر الوحيدة ميلادها ، لتملأ الدنيا عيدا سعيدا ... سأعود ، أنثر الورد والياسمين والفل فى كل مكان .. سأعود .. أوزع المشروبات والفرحة على كل الناس ... وتتيقظ كل حواسى وخلاياى وهى تنتظر الجواب ...

تتحرك شفتاه ... تزيغ عيناه .. تصلنى كلمات غير مفهـومة ... أحـاول استعادتهـا ...

تسقط الكلمات .. تستقر فى صدرى ، تغوص رصاصا فيه يقتل الفرحة قبل الأوان !

تسقط الكلمات تقطع جناحى طائرى الغر الصغير !

تسقط كلمات الرصاص ... أحاول استعادتها ... فهمها ...

أزمة جديدة ... ضريبة أخرى على الورق ... غلاء فاحش ...

تسقط الكلمات فى صدرى حادة النصل ، سوداء ، قاتلة . وشىء أحسـه تحت ذراعى يثقل ويثقل ... يكاد يسقط ، يكاد يصبح قنبلة هائلة قد تنفجر حين تلتقى بالارض .. قنبلة لم يرها .. لم يعرفها ، ومع هذا خافها ، ردها بابتسامة ساخرة وكلمات اعتذار .

* * *

والمدينة خارج المكتب والبناء الضخم تأكل نفسها ، تصرخ ، تزمجر بألف صوت ... أتيه فى شوارعها ... وحملى يموت حزنا فى ظلامه ...

أتيه فى شوارعها وحيدة ... والحلم الاخضر الوردى فى بركة دم سوداء..

أتيه ... حتى تلتقطنى حافلة وترمينى بين ركابها كتلـة حـزن وخيبـة وفشـل .

ليستقبلنى الليل والطريق الوحشى .. وأجدنى ، أعود اليك ، خيبة مرة ، لتسحقنى ، لتغوص فى ، لتسقينى مخـدرك المـر . فلعى أنسى ، أنسى ، أنسى ولو لحين .

بنـت البحـر

خواطر مجنحة ..

شعر : حمادي الباجي

اللهَ بِصَمْتِي أعْبُدُهُ ... قَدْ كِدْتُ أرَاهُ وَأشْهَدُهُ
وَبِنَارِ الفِتْنَةِ إبْلِيسٌ ... فِي غَشْيَةِ إثْمٍ يُبْعِدُهُ
أتُعَدُّ ذُنُوبٌ لِي وَأنَا ... فِي الكَوْنِ الرَّحْبِ أوَحِّدُهُ؟
وَفُؤَادِي الطَّاهِرُ فِي جَسَدِي ... قَدْ أضْحَى الشَّكُّ يُهَدِّدُهُ
كَمْ يَبْغِي الخُلْدَ بِعَالِمِهِ ! ... وَالمَوْتُ الأحْمَرُ يَرْصُدُهُ
وَيَتُوقُ لِرُؤْيَةِ خَالِقِهِ ... وَاللَّيْلُ الأقْتَمُ يُرْعِدُهُ
يَا حَيْرَةَ نَفْسِي يَا قَلَقِي ... يَا لَيْلاً طَالَ ، مَتَى غَدُهُ ؟
يَا كَبْتَ شُعُورِي فِي خَلَدِي ... قَدْ يَطْغَى الحِسُّ فَأخْمِدُهُ
فِي الصَّدْرِ غَرَامٌ أحْمِلُهُ ... زَفَرَاتُ جَهَنَّمَ تُوقِدُهُ
وَالدَّمْعُ بِعَيْنِي مُلْتَهِبٌ ... أخْفِيهِ ، يَثُورُ تَمَرُّدُهُ
وَخَيَالِي الجَامِحُ مُنْطَلِقٌ ... أبَدًا لا شَيْءَ يُقَيِّدُهُ
سَكْرَانُ الخَطْوِ مُعَرْبِدُهُ ... قَدْ ضَلَّ ، تُرَى مَنْ يُرْشِدُهُ
ظَمْآنُ الشَّوْقِ – وَمَوْرِدُهُ ... قَدْ عَزَّ – تُرَى مَنْ يُنْجِدُهُ
وَيَقِينِي أنِّي لا بَشَرٌ ... يَفْنَى وَالتُّرْبُ يُبَدِّدُهُ
وَهَوَى الدُّنْيَا لِصٌّ قَذِرٌ ... مِنْ ثَوْبِ تُقَاهُ يُجَرِّدُهُ
مَا أغْنَى عَنْهُ مَا مَلَكَتْ ... يُمْنَاهُ وَمَا كَسَبَتْ يَدُهُ
وَبِخَاطِرِهِ الدُّنْيَا صَنَمٌ ... فِي هَيْكَلِ وَهْمٍ يَعْبُدُهُ
مَا أحْقَرَ جِنْسًا يَجْذِبُهُ ... صَخْرٌ! يَتَألَّهُ جَلْمَدُهُ
وَيُقَدِّسُ عَبْدًا شَابَهَهُ ... فِي قُبْحِ النَّفْسِ وَيَحْمَدُهُ
يَسْقِيهِ الرِّجْسَ بِحَانَتِهِ ... فِي جُنْحِ اللَّيْلِ وَيَطْرُدُهُ

ويعود إليه بعد غد فيمجسه ويهوده

ما أسعدني! وأنا ملك ويد الرحمان تهدهده

في ظل العرش يداعبني نور كالجنة مشهده

والشعر يفيض على شفتي وعذارى الخلد تردده

والشعر بقلبي معجزة ويخلدني وأخلده

لو يعدم روح الشعر فقد أيقنت بأني موجده

شرفي شعر أستنزله بدموع القلب وأنشده

والوحي الشارد أرصده بلظى روحي أتصيده..

واللغو الساذج أنبذه والمعنى الحلو أولده

بجمال اللفظ أونقه كزهور الروض أنضده

وأعارض كل عظيم لا أخشاه بل أنقده

وأقول الحق ولو أفنى في الحق فنائي أنشده

وبقلبي الدنيا أحملها والعقل بقلبي أجهده

يا من أنكر شمس ضحى أتراك خيالي تجحده؟

ولكل مسيلمة كذاب وحشي يتوعده

أرأيت كمثلي عملاقا تخشاه ولكن تقصده؟!

الرعب بوجهي ملتحف ببراءة قلب تعهده

وأنا السفاح أتعجب من سفاح قد طهرت يده

يا حفنة ترب من جبل أتسلقه فأعبده

وأسوق الريح وأركبها وأقيم الجو وأقعده

وأمر ببابل أسحقها والسحر لدى أصفده

وأنا للجن سليمان أعلمت بأنك هدهده

وعصا موسى بيدي صرخت لو شئت البحر أجمده

سيخر غدا لي منكسرا هامان العصر وسيده

الحياة الأدبية والفكرية في القرن 18 و 19 بولاية الوطن القبلي

د . الهادي حموده الغزي

– 5 – (*)

وقد ولد الشاعر محمد ماضور (**) بسليمان ليلة الاثنين 9 من شهر ربيع الاول سنة 1150 من أب عالم كان أحد العلماء المجددين للحركة العلمية بتونس بعد اندثارها بسبب الحروب الاسبانية، وقد تفتحت عين شاعرنا على والده صاحب الامامة والقضاء وخطة التدريس بسليمان بعد أن تخرج على علمـاء الشـرق خاصة مثل الشيخ البليدى ، والصعيدى العدوى ، والحفنى ، والطحـلاوى ، والدرى (58) ولم يكن والد ماضور عالما مستهلكا بل كان منتجا أيضا وحمـل فى سنة 1164 هـ. كتبه فى حجـة الى بعض أصحـابه المشـارقة فقرضوهـا وأعجبوا (59) بها . وكان الولد على شاكلة أبيه فى الاقبـال على الـدرس والتحصيل ولم تكن حروب الحزبين الحسينى والباشى لتؤثر على هذا الشاعر بل استطاع كأبيه أن يتجنب ويلاتها ويسلم مما لم يسلم منه أهـل عصره من العلماء والادباء كابنى ولايته أبى الغداء اسماعيل التميمى ومحمد التميمى.

ويبدو أن أسرة ماضور لم تنس ما تعرض له أسلافها فى اسبانيا فلذلك لم تنحشر فى الصراع الباشى والحسينى وظلت مرتبطة ارتباطا قويا بمسقط الرأس لا تتجاوزه إقامة ووظيفا ؛ فوالد الشاعر قد هاجـر ولكـن من أجـل التحصيل ولكنه بعد ذلك لازم مسقط الرأس ولم يتجاوزه الى غيره ولم يجذبه

(*) تابع لما نشر فى مجلة «الفكر» س 26 – ع 4 – جانفى 1981

(**) وردت ترجمة كاملة لحياة الشاعر فى مجموع يضم ديوانـه تحت رقـم 21067 بالدار الوطنية ورقة :169 .

(58) المصدر نفسه ص 94 ، 95 .

(59) المصدر نفسه ص 95 .

بريق قصر باردو ، حتى توفى سنة ١١٩٩ هـ. وكذلك ابنه محمد فبعد أن درس على والده بسليمان هاجر الى تونس العاصمة طالبا للعلم ليلة الاحد 23 من ذى الحجة ١١٧١ . ودرس على كبار علماء الجامع الاعظم فالقرآن عن أبى يونس حمودة ادريس والعربية عن حمودة بن حسين باكير والبلاغة عن قاضى باردو والشيخ منصور المنزلى وشيخ الاسلام حسين البارودى وأبى عبد الله محمد بيرم الاول وأبى عبد الله محمد الشحمى العالم الرياضى وأبى الفضل قاسم القلشانى (٦٠) .

وبعد تخرجه تصدر للتدريس بالجامع الاعظم . وتذكر المصادر أن والده توفى وهو ما يزال مقيما بالحاضرة وباجماع أهل بلده فارق الشاعر العاصمة ليتقلد الوظائف التى كانت لأبيه سنة ١١٩٩ وان ذكرت بعض المصادر أن رجوعه الى سليمان كان سنة ١١٨١ أى قبل موت والده بثمان عشرة سنة وقد تكون عودته تلك زيارة عاد بعدها الى العاصمة ثم كانت رجعته الاخيرة بعد موت والده . ويذكرون أنه زهد فى قريته ورغب عنها الى الحاضرة حين استقدموه ليتولى وظائف أبيه (٦١) واذا صح هذا الرأى فانه يدلنا على أن شاعرنا كان أزهد الناس فى الوظائف الحكومية والخطط الشرعية ، وأن التفرغ للعلوم والتدريس بالعاصمة ، وتعاطى الادب كان همه الوحيد فقد ذكروا أنه كان واسع الثقافة مبرزا فى العلوم الشرعية والعلوم التطبيقية كالفلك والحساب كما شغل نفسه بالمعارف الطبية وخواص المفردات الطبيعية وله تعليقات على ألفية ابن سينا وكان يستعمل الاسطرلاب والارباع التى اخترعها العرب ، كما كان له باع طويل فى الحساب والهندسة .

ومن تآليفه :

مقالته الهامة فى مراتب العلوم
مختصر فى رسم القراءات
ومختصر فى مخارج الحروف
والدر المكنون فى رواية قالون
والتطبيق فى التوثيق
ومختارات أدبية (٦٢)

على أنه من كل ما عرف به من معارف اشتهر بالادب شعرا ونثرا ووصفوه

---

(٦٠) المصدر نفسه ص 95 .
(٦١) الاتحاف 7 / 59 .
(٦٢) تونس وجامع الزيتونة ص 96 .

بانه سهل المأخذ ، رقيق المعانى ينم عن شاعرية مطبوعة وذوق لطيف .

ولئن كان ظهور ماضور بشعره فى فترة احيائية لبعث حركة أدبية بعد اندثارها وكان من روادها المبشرين بها : الورغى وحمودة بن عبد العزيز وابن سعيد الحجرى والغراب فانه قد شذ عن سائر أدباء عصره فى شعره ونثره ذلك أنه صاغ أدبه بعيدا عن أضواء القصور ، ليجعل منه مرآة صادقة لحياته الخاصة والعامة ؛ فقال ما شاء له القول فى مدح أبيه عند كل مناسبة علمية ، كما تغنى ما شاء له التغنى بعواطفه المشبوبة تغزلا مرة بصويحباته ومرة بغلمانه وأحبابه وابتعد كل البعد عن الشعر الرسمى ولم يلتفت إليه غير مرة أو مرتين اثنتين احداهما حين هدم على باى الحمارات (63) فمدحه بقصيدة وتلك لها خلفية دينية ، معذور فيها ، والثانية لم يستقبل فيها القائد ابن عياد حين مر بسليمان يجوس خلال ولاية الوطن القبلى وتغير القائد على الشاعر تغيرا كبيرا لم ينقذ نفسه من خطره الا بقصيدة اعتذارية (64) .

وبالرغم من ظهور ماضور فى فترة انبعاث علمى وأدبى ، والظن أن أدبه سيكون فيه ما فى كل أدب ناشىء من ضعف وفى عصر مثقل بالانحطاط سيحمل أدبه منه الكثير مثلما رأينا ذلك فى أدب الغراب ، لكن أدب ماضور جاء بعكس ذلك فقليلا ما برزت فيه أمراض أدباء العصور الوسطى واذا استثنينا الترصيع فى شعره والسجع فى نثره فانك لن تشعر أو تكاد تشعر . أنك تقرأ لأديب متقدم عاش فى عصر الاحياء من لدن انبعاثه . وما دمنا قد قمنا بعمل تحت مركز البحوث فى خصوص شعر ماضور فسوف لا نقف كثيرا عنده وسيكون اهتمامنا بنثره أكثر من شعره . تميز ماضور بالمقطوعات القصيرة وعدم تطويل قصائده الا نادرا ولعل أطول ما نظم مدائحه فى والده كقصيدته الرائية التى أنشدها فيه غب ختمه لتفسير القرآن عليه ومطلع القصيدة (65) :

تفسير أشواقى لديك يحرر
فعساك تختم بالوصال وتجبر

وقصيدته الثانية فى والده أيضا عند ختمه لتفسير الخازمى وأولها (66) :

---

(63) الديوان ص 51 .
(64) رسائل ماضور ص 20 .
(65) ديوان ماضور ، تحقيق وتقديم الهادى الغزى ص 86 .
(66) المصدر نفسه ص 88 .

تفسير ما حل بالأحشاء من وصب لحازن الحب قد يفضى الى النصب

والكثير من شعره قصائد قصيرة ومقطوعات كتلك التى مدح بها أهل سوسة جوابا على أهجية الغراب لهم . ووصفه للقهوة وفيه نكتة (67) :

حبشية جاءتك من يمن شامية تختال فى الصين
سخينة الحسن لها مرشف فيشفى صدى قلبك فى الحين

ولئن كان شعراء عصره قد كلفوا بالتشطير والتضمين فانه بلغ من الاندماج أسلوبا إن صح التعبير حتى ليلبس على القارىء . من ذلك تضمينه عجز بيت بشار :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وقصيدة ماضور : (68)

يا ظبية أشعلت فى القلب نيرانا وخلفتنى مع الاشواق حيرانا
بالسمع أهواك لا عن رؤية سبقت فهل أراك وأشكو منك أشجانا
صبرى ودمعى لما حملت من شغفى هذا تلاشى وهذا صار غدرانا
يا شمس حسن تبدت فى ملاحتها هلا قرنت بذاك الحسن إحسانا
ما إن ذكرتك إلا صرت من طرب من طيب ذكراك ولهانا ونشوانا
من العجائب إنى ما شربت ولا شممت خمرا وقد أصبحت سكرانا
روحى ابشارة ما بالوصل بشرنا ومن جميلك بالرضوان هنانا
أذنى هوتك وعينى ما رأت شبحا (والاذن تعشق قبل العين أحيانا)

وانظر الى هذه الأبيات وقد ضمنها تشطيره لبيت مشهور : (69)

الله يعلم أن الروح قد تلفت فى ود حبك يضنيها ويغويها
والنفس بالحب كادت أن تطير هوى شوقا إليك ولو أنى أهنيها
ونظرة منك يا سؤلى ويا أملى تشفى النفوس وترويها وتحييها
وساعة من وصال إن سمحت بها أعز عندى من الدنيا وما فيها

---

(67) مجموع مخطوط بالدار الوطنية تحت رقم 9105 الورقة الاولى وانظر الديوان ص 32 .

(68) ديوان ماضور ص 23 .

(69) مجموع بالدار الوطنية تحت رقم 4127 ص 20 .

(لا يعرف الشوق إلا من يكابده) يحرقة ما لها نار تدانيها
ولا درى الحب إلا من يجربه (ولا الصبابة الا من يعانيها)

وللشاعر القاضي طرائف وغرائب في غزله وفي علاقاته بالنساء والغلمان وإن صدق شعره لتؤكده حلاوة صياغته ولطافة تعبيره . وعندي أن ماضور هو آخر شاعر تونسي صادق العواطف أجب الجنسين على نحو ما كان شعراء القرن الرابع يفعلون وقدم تجاربه بأمانة ، والظن عندي أنه لم يكن يذيع بعض شعره بدليل أن نسخ ديوانه المخطوط والمتداول بين الناس يخلو من بعض الشعر الغلماني الذي يكنه بعض المجاميع الخاصة عند بعض أقربائه (70) فقد اشتمل على مقطوعات وقصائد هي أشبه بالمذكرات الخاصة ولا شك أنها كانت شخصية ولم يعرفها الناس إلا بعد موته .

ولم يكن شعر ماضور الغزلي عذري الطابع دائما بل نجد النزعة المادية أحيانا تطفو لتنم عنها أقواله كهذه المقطوعة : (71)

ما بالها بخلت برد سلامها سلمى ولم تحفل برعي ذمامها
وتثاقلت عني وكانت قبل ذا تسعى الى بعزمها وغرامها
واستوبلت مرعاي وهو المنتقى واستبعدت مرماي في أوهامها
إن غرها بي جهلها بمكانتي فمن التأدب تركها لملامها
أو صدها الواشي على فائمها مغزاه أن يحظى بما في حزامها

ولا شك أن العجز الاخير في المقطوعة منفى عن الذوق الشعرى السليم . على أن ماضور يبقى رغم ذلك مجيدا وموفقا في أنظامه ومنهجه في الانتفاع بما خلف الاقدمون اذ يماشي المعاني احتذاء حينا في ذكاء وحينا سالخا مختلسا . ولم يكن أهل عصره أقل منه دراية ولا أقل معرفة بمخبآته وهذا نص أقدمه كما ورد بأصل المجموع (72) .

« الحمد لله »

ومن نظم الاديب الناظم المرحوم أبي عبد الله محمد ماضور الاندلسي السليماني :

---

(70) مجموع بالدار الوطنية تحت رقم 9105 .
(71) الديوان ص 56 .
(72) مجموع تحت رقم 9105 ص 157 .

جاد باللقيا بصحن الجامع يا له من بدر تم طالع
عسل بالصحن يشتاق له كل ذى عين بقلب صادع

وقال أيضا :

لقيت بصحن الجامع اليوم أهيفا
جميل المحيا كامل الظرف والحسن

فلله ما أحلى وأبهاه منظرا
فلا تعجبوا ان الحلاوة فى الصحن !

« قلت : ورأيت فى كتاب سماه مؤلفه محاسن الشام لما استوعب من الكلام، ومدحته شعراء الوقت بقصائد الى أن قال : وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف فى غلام يتثنى فى صحن الجامع :

تمشى بصحن الجامع الشادن الذى على قده أغصان النقا تثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة ألا فانظروا هذه الحلاوة في الصحن

« فانظر الى الشيخ ماضور كيف أخذ جل اللفظ والمعنى » .

« وفى الكتاب المذكور قول القيراطى ـ رحمه الله ـ من معانيه البديعة :

الجامع الاموى أضحى حسنه حسنا عليه فى البرية أجمعا (73)
حلوه اذ حلوا فانظر صحنه تلقاه أصبح للحلاوة مجمعا »

فانظر الى ماضور كيف تصرف وانظر الى الناقد كيف تتبع خطاه ؟ ولماضور فى هذا الباب مداخل وتصرف يعجبك فيه قوة طبعه ولطف شاعريته قدر إعجابك بسعة إطلاعه ومتانة تكوينه فى فترة إحيائية كنا نعتقد جميعا أنها بداية إن وجد فيها المحسن قل أن يوجد فيها المجيد البارع ولا شك أن خططه الشرعية كالقضاء والعلمية كالتدريس ، والصوفية كمشيخته فى الطريقة العيساوية وما كان يجد فيها من « حضرات » بالغلمان والشباب وقد تكون بالنساء أيضا كل ذلك ترك فى شعر ماضور ضربا من الممارسات الواقعية أتيحت لعواطف كعواطفه وطبع كطبعه الاندلسى الموروث فأنتج هذا النتاج وأفرز قلمه هذا الافراز .

(يتبع)

د. الهادى حموده الغـزى

---

(73) المصدر السابق ص 156 .

معـــــــراج روح

شعر : د. محمد حسن آل ياسين
بـغـداد

غـــدًا تحلّقيـــن
ستَصعـدينَ حرّةً للعالمِ الهـانيء .. تصعـديـنْ
تـرفـرفيـنَ كالملاكِ .. كالســـنى
وسـوفَ تـهـزَئيــــنْ
بسجنـكِ المطـروح فـوق الأرض .. تحتَ الارض فـي التـرابْ
فهـو صدًى لـذلكَ التـرابْ
يعـودُ كـي يـذوبَ فيـه منْ جـديـدْ
وأنـتِ فـي فضائـك الفسيـح .. في عـالَمكِ المديـدْ
نقيّـةٌ منْ دَرَنِ الأكـفّ والضلـوعِ والعيـونْ
وأيـنَ منْ ملعبـكِ السجـونْ !
تضاحكيـنَ النجمَ فـي حـدائـق القمـرْ
وتشـربيـنَ النورَ والكـواكبَ الأخَـرْ
وتعـتريـكِ لحظـةً أحـزانـكِ القـديمـهَ
على شقيقـاتـكِ في غيـاهـبِ القيـودْ
يجمعـنَ بؤسَ الأعيـن العقيمـهْ
مـلاحمـًا منْ حيـرةٍ مـذهلـةٍ أليمـهْ
يـرسُمْـنَ فيهـا قصـةَ الإنسـانِ والـوجـودْ

غداً تحلّقينَ للسماءْ

* * *

كوكبةً تزخر بالضّياءْ
تُطلّ منْ عليائها على بني الترابْ
ستضحكينَ ملء شدقيك على تفاهة البقاءْ
وسوفَ تبكينَ على مهزلة الفناءْ
ستضحكينَ ثمّ تبكينَ .. بلا انتهاءْ
بلا حس ولا قلب ولا صَوابْ
ولا فم هزّ الدّنى صداهْ
وبعدها ستنزلينَ كالأملْ
كنفحة ألقى بها الأزلْ
ستنزلين فكرةً في أرؤس البشرْ
بلحظة كالسّحر تنفذينْ
وعندها سيشعرون أنّ في عيونهم بَصَرْ
وأنّ في أيديهمُ القدرْ
وأنّ في مقدورهمْ أنْ يصنعُوا الحياهْ
لأنّ في رؤوسهم إلهْ .

محمد حسين آل ياسين

بغداد

بحجم الحب أكون !

صدر العدد 13 مارس 1981 من مجلة الاخلاء محتويا على المجموعة الشعرية الرابعة للشاعر أبى وجدان بعنوان « بحجم الحب أكون ! »

شمس الخريف

قصة : يوسف الحنابشي

ترك السرير وقد أطرد آخر هجمات النوم عليه ، ونظر نظرته المعتادة الى الساعة العاشرة إلا الربع صباحا وهو وقت أصبح منطقيا لديه يقصر له طول النهار ، واتجه نحو النافذة يفتحها فلفحته شمس دافئة لم يتعود مثلها فى الخريف مما شجعه على أن يتوقف قليلا ليسرح بصره فى الشارع المقابل وعلى سطوح المنازل المتراصفة . لاحظ « العم صالح » الجزار يعلق سقطا جديدا على واجهة باب دكانه ، أما « حميدة الخضار » فقد أخرج هذه المرة بعض صناديق البرتقال والتمر الى الرصيف ... وقل الازدحام أمام عطار الحى إذ هو موعد بيع علب الحليب .. ورفع ببصره الى السطوح فلاحظ المرأة البدينة تنشر بعض الغسيل .. وكره أن يحرس حركاتها التى تكشف عن سيقانها من الخلف عندما تهوى وأن لا يهتم بنظراتها الثاقبة اليه وهى تتجاهل وجوده خلف النافذة ...

وعاد الى ركن الغرفة حيث الحنفية والمرآة ليغسل وجهه ... وتوقف لحظة يتأمل ملامح وجهه فى المرآة .. كان الهدوء الذى يغمر الغرفة يغرقه شيئا فشيئا فى تأمل وجهه ، هذا الوجه الذى كره أن يراه ، يكتشفه مرات ... لاحظ تسرب التجاعيد اليه بعدما زحف الشيب هنا وهناك على لحيته ورأسه .. وتذكر مرور الوقت على حياته بهذه الصورة الهادئة ، بهذه الرتابة المتواصلة .. فقد التجأ الى هذا النزل منذ ثلاث سنوات بعد أن تحصل على المعاش الاجبارى الذى يخول له المحافظة على ثلاثة أرباع المرتب واختار هذه الغرفة العالية فى الدور الثالث الاخير ليبعد عن حركة المقيمين والضجيج الفوقى ... وكان هذا النزل مقره الاخير بعد أن فشل فى الحياة كما كان يعتقد .. فشل أولا فى الزواج من « مديحة » .. تلك التى كشفها هو .. ـ وصنعها هو .. وعلمها أن تخوض غمار الحياة .. ولكن مديحة زهقت يوما فى وجهه : « أنت رجل بارد ! أنت رجل ميت ! دعنى أعش ! دعنى أعش !.. »

وصبر على كلامها الأيام والشهور وكان يضطر أن يجيبها بعد أن تسب الدنيا والقدر الذى جمعها به : « أنت لا تفهميننى .. أنا رجل بارد لأنى جربت الحرارة ... جربت الثرثرة كثيرا ... ووجدت تعزيتى فى السكوت !!.. أنظرى يا مديحة ! ماذا ينقصك ؟ لقد وفرت لك كل الضروريات وأنا دائما بجانبك .. ماذا ينقصك ؟؟ » .. وكانت ترد عليه : « أن تتحرك .. أن تثرثر ! أنا فى بدء الحياة وأنت فى نهايتها يا غرابة !.. خذنى الى السينيما ! الى الحفلات ! الى بلاد الدنيا ! أنت رجل ميت !..» وكان يلتجىء الى الصمت كعادته فى كل انفجار مثيل .. ولكن لم يكن يتصور أن يعود ذات يوم ويجد أثاث البيت مبعثرا وقد أخذت مديحة أدباشها وكتبت له كلمة قالت فيها : « أذهب على حالى ، وأتركك لحياتك الغريبة .. أنا امرأة متعبة .. سأعلمك بموعد الطلاق .. » وفعلا أعلمته بذلك بعد شهور واستدعى الى المحكمة وانتصب هو وزوجته أمام هيئة المحكمة .. ولم يقل شيئا .. ولم يعين محاميا ينوبه فى الكلام .. بل ظل صامتا ، وكل ما يذكره خاصة هو بكاء مديحة ... لقد بكت مديحة طويلا أمام المحكمة .. ولم يتمالك وهو يغادر المحكمة بعد أن أعلن الطلاق والنفقة لمديحة ، لم يتمالك أن قال لها وهى تسرع الخطى مبتعدة عنه : « لماذا بكيت ؟ ماذا فعلت لك ؟ .. » .

شكرى رجل صامت .. يتأمل فى الدنيا من بعيد .

قرر هذا الصباح كعادته أن يتوجه الى مقهى محطة القطار الجديدة .. ليأخذ مكانا له فى الشمس الدافئة ، شمس هذا الخريف السخن وأن يحتسى قهوته وهو يتصفح جريدته .. وهكذا تسلل من النزل فى اتجاه المقهى وقد اشترى جريدته من أول بائع جرائد على الرصيف .. بهرته شمس هذا اليوم.. لم تكن عادية .. كانت دفقا .. شلال حرارة .. وعندما وصل المقهى اختار مكانا منعزلا كالعادة وطلب قهوة محللة وشرع يتصفح الجريدة .. أخبار الحروب المنتشرة هنا وهناك فى العالم .. منها المنطقية ومنها الاعتباطية وهى الكثيرة .. ووجه انتباهه الى الاخبار الهامشية .. إنها الهامة فى نظره .. هذا رجل هوايته النوم على السطوح .. وهذه امرأة ضربت رقما قياسيا فى تدخين الافيون .. وهذا .. وهذا .. وهناك أيضا اعلانات زواج تعود أن يلقى نظرة عليها بين الحين والآخر حبا للاطلاع فحسب .. وقرأ بعضها : « شاب يرغب فى الزواج من فتاة جميلة ، يود أن تكون ذات مهنة حرة .. رجل فى سن الأربعين يبحث عن امرأة أرملة .. أو مطلقة .. له أطفال .. » وقرأ أيضا : « امرأة فى سن الاربعين ، جميلة ، تحب الهدوء وتضمن السعادة .. » وطوى الجريدة

جانبا .. واحتسى جرعة قهوة .. ثم دفع بيده الى جيبه يبحث عن علبة السجائر التي تعود أن يهملها رغبة في نسيان التدخين .. أخرج سجارة وأشعلها بعد أن ضغط عليها مليا بأطراف أصابعه ... وراح يدخن وينفث الدخان دوائر متصاعدة بين الحين والآخر .. وعاد للجريدة ليمسكها من جديد ويفتحها على إعلانات الزواج بالذات .. وأعاد قراءة الاعلان الاخير .. وقال ما بينه وبين نفسه : « هذه امرأة تبحث عن الهدوء .. سنها يدل على الرشد والتعقل .. لماذا لا أتصل بها ؟ لا أجرب معها ؟ ولكن كيف ذلك ؟.. » ونظر في الجريدة لعله يجد عنوانها .. وقرأ رقم هاتفها .. ورغب في أن يتصل بها فورا .. وقام فجأة وهو ينادى الجرسون ويدفع له ثمن القهوة ويتجه نحو أول هاتف عمامي .. وارتجفت يداه قبل أن يدير الأرقام ... ولكنه اطمأن بعض الاطمئنان حين سمع جرس الهاتف يرن .. وانتظر أن ترفع السماعة .. وفعلا رفعت وسمع صوت امرأة يقول :

ـ آلو .. من بالخط ؟

وصمت قليلا .. ولكنه استفاق بعد لحظة وقال :

ـ آلو .. صباح الخير يا سيدة .. أنا .. أنا قرأت الاعلان .. أعجبني إعلانك ..

وردت عليه :

ـ حسنا .. أنت الاول إذن الذى يجيب .. أنا فعلا امرأة أرملة .. بلا أطفال .. مات زوجي في حادث سيارة منذ سنوات .. أرغب في الزواج .. وما هي وضعيتك أنت ؟

قال بعد تردد :

ـ أنا .. أنا مثلك .. نفس الوضعية .. تحصلت على التقاعد الاجبارى .. أريد أن أهجر عزلتي .. لي كل الامكانات .. لا بد أن نلتقي على الاقل ..

قالت له :

ـ أرجو ذلك .. وأود أن تكون جديا .. متى تريد ؟

قال :

ـ هذا الصباح .. لماذا لا يكون لقاؤنا بعد دقائق .. أنا أنتظرك هنا .. سأدفع عنك ثمن التاكسي .. سأنتظرك في بهو مقهى باريس ...

قالت :

ـ حسنا .. لا مجال للتاكسي .. ولكن كيف أعرفك ؟

قـال :

ـ ألبس بدلة بنية .. أمسك جريدة .. سأضع ساقا على ساق ..

قـالت :

ـ أرجو أن أوفق لمعرفتك .. أما أنا فى معطف أزرق .. أضع نظارة شمس على عينى .. الى اللقاء إذن .. » ووضعت السماعة .. ترك غرفة الهاتف وخرج الى الطريـق .. لفحتـه شمس الخريف مـن جديد .. وأحس بـالدفء يغمـر جسده .. وقرر أن يتوجه توا نحو مقهى باريس .. كان يشق طريقه وسط الزحام وهو يتخيل لقاءه مع هذه المرأة .. وتمنى أن يكون لقاؤه بها حارا فى البداية ثم فكر في أن يغرقها بعدها فى موجة هدوئه العادية ، موجة الصمت والوقوف على حافة الزمن المنساب .. وحاول أن يتصور ملامحها المتوقعة ... ولما وصل مقهى باريس اندس فى مقعد بركن البهو ومسك جريدته كالعادة ، ساقا على ساق .. وراح ينتظر .. ومرت الدقائق . .واغتابه بعض القلق .. فنزع الجريدة جانبا وراح يحدق فى الشارع المقابل عند مدخل المقهى .. ورأى المعطف الأزرق .. ورأى المرأة تبحث عنه وعلى عينيها نظارتها الشمسيـة .. وخيل اليه فجأة أنه يعرف هذه القامة .. وهذا الشعر المشدود الى الخلف .. ولما اقتربت منه المرأة وكادت أن تتجاوزه قال لها :

ـ أنا هو .. أنا يا ..

والتفتت اليـه .. ونزعـت نظارتهـا .. يـا للقدر !! انها مديحة . زوجته السابقة .. لقد تغيرت هيئتها بعض التغير . قالت هى بدورها وهى واقفـة :

ـ أنت ؟ أنت هو ! ما الذى دفعنى إليك كيف تكون أنت ؟.. واستدارت منصرفة ..

أحس ببرودة عارمة تهجم على جسمه .. وسقطت الجريدة من يديه ..

قال : كيف تكون هى ؟ لماذا تقدم نفسهـا بالأرملـة ؟ ألـم تكـن تبغض الهـدوء ؟؟..

وغرق فى صمته .

ومرت الدقائق وهو ينظر الى فوهة الشارع المقابل حيث اختفت مديحة .. وأحس بأنه يحتاج الى الحركة .. الى المشى .. الى الدفء .. وفكر فى أن يعود الى مقهى محطة القطار ليجلس للشمس ويمضغ سجائره .. وقام بتثاقل .. ومشى على طول الطريق .. وبدأت شمس الخـريف الـدافئة تتسـرب اليـه وتمـلأ دنيـاه ..

يوسف الحناشي

أحلام ملك مدائن الشعر والفقر

شعر: محمد نجيب بوجناح

أتيتك يا شاطىء الحزن
فى ثبج الليل
أحمل همى تاجا
أنا ملك الشعر
فى دولة الفقراء
تعشقت رقص النيازك
فاشتقت أركب فلك المساء
أباغتها تتزين للفسق السارح
فى أرخبيل السماء
أراقص أنفاسها ،
أتطهر من نسخ الذكريات
تقايضنى الخاجات
وتورق فى خاطرى شهوة
تقتل الشهوات
تزودت بالظما ، الجوع والفقر
فى زمن النكبات
فأوقفنى حارس الليل
أسامنى للفجيعة
صادر جوعى
وعيرنى بالتصابى
فمن يرحم الفقراء .

* * *

أيا شاطىء الحزن
هذى جراحى تأكل من خطواتى
إليك ضياعى
إليك لهاثى
فانى نذرت الخرود
وشحت من الرعب رحم الوعود
ولن يشرق البخت
بعد الغروب
وإنى انتحرت ،
ولا ...
لن أعود .

شعر للاطفال

مِنْ ديوان الأطفال

شعر : عبدالحميد خريّف

(١)

● سافر ...

عَبْرَ الوَطَنِ الأخْضَرْ ...
وَطَنَ الشَمْسِ الصَيْفِيّهْ
وَطَنَ القَمَرِ الأسْمَرْ

★ ★ ★

سَافِرْ ...

غَنِّ مَعَ الأطْيَارْ ...
واقْطِفْ أحْلى الأزْهَارْ ...
وارْسُمْ خَارِطَةً عَرَبِيّهْ ،، ..
على أوْرَاقِ الأشجَارْ

★ ★ ★

سَافِرْ ...

فرِمَالُ بِلادِي الذّهَبِيّهْ ،، ..
وجِبالُ بِلادِي الوردِيّهْ ،، ..
وبِلادُ بِلادِي العَرَبِيّهْ
تَنْتَظِرُ الفارِسَ يأتيها

بِقَنَادِيلَ صَبَاحِيَّهْ ...
سَافِرْ ...
يا طِفْلا عَرَبِيًّا أسْمَرْ
سَافِرْ ...
عَبْرَ الوَطَنِ الأَخْضَرْ

* * *

● واحه

(2)
مَا أجْمَلَهَا منْ وَاحَهْ !
مَا بينَ الماء وبينَ الرَّمْلِ
تَنْمُو أزْهَارٌ فَوَّاحَهْ ...
والنَّخلُ الباسِقُ يتَهَادَى
لمْ يَخْشَ شتَاءً ورِيَاحَهْ

* * *

وَاحَهْ
ظِلٌّ يَعْبَقُ بِعُطُورْ
وَدَوَال .. أعشاشُ طيُورْ
وكرومٌ حالمَةٌ وَتُمُورْ
وَأغان تُنشِدُها فَلاَّحَهْ
وَرَبِيعٌ أهدَى الفلاحْ
بَاقَاتٍ منْ وَرْدِ صَبَاحِيَّهْ

* * *

وَاحَهْ
مَا أجْمَلَهَا منْ وَاحَهْ !
مَا بينَ المَاء وَبَيْنَ الرَّمْلْ
تَنْمُو ازهَارٌ فَوَّاحَهْ

عبد الحميد خريف

مَنْذ عرفتها

شعر : إيفان ميناتي
تعريب : محمد مويتش

منذ عرفتها
الأيام لها عيون شديدة الزرقة
والمياه لها لون جونتلها
منذ عرفتها
الرياح لها صوتها
والزهور لها ألفاظ حديثها
كم أحب سحب الصيف
التى كانت تتابع خطواتها
عندما كانت غادية رائحة فوق الحشائش
كم أحب أشجار الصفصاف هذه الواقعة على حافة المياه
وهى غارقة فى أفكارها عن
أسطورتها الهادئة ، عن رقتها
وليس هناك أحد يدرى بماذا تتهامس
أنا الوحيد الذى يعرف
وأبتسم
منذ عرفتها
ها أنذا ليل أغسطس
ليل هادىء حافل بالنجوم
وفى الاراضى الناضجة تنثر الوديان الروائح

مطالعات



الادب الاسلامي من خلال "اليد السفلى"

بقلم : مصطفى بوهلال

كان يدير أسؤال ، بين ضيوفه ، ببيته المؤنس — على شاطىء جدة — بكل لباقة وإلمام .. وذكر لى النهضة الشعرية بتونس ... فوصلت حديثه بحركة مجلة « الفكر » ... فأهدانى آخر تآليفه ... ذلكم هو المفكر الملهم : محمد عبده يمانى .

(اليد السفلى) (*) مجموعة قصصية ، وعنوان أولى قصتين طويلتين فى 309 صفحة ، من القطع الكبير ، صدرت عام 1399 هـ — 1979 م عن المطابع الاهلية بالرياض ، للكاتب الدكتور محمد عبده يمانى ، وزير الاعلام السعودى ؛ ذلكم العلم اللامع فى ميدان الانتاج الثقافى بـ (نتاجه المتطور ، والذى يشكل لبنة متينة فى بنيان القصة السعودية الباهرة) (1) .

(*) وصلتنا دراسة طويلة من الاستاذ مصطفى بوهلال عن « اليد السفلى » وهى مجموعة قصصية للدكتور محمد عبده يمانى. اقتطفنا منها ما رأيناه يفى بحاجة القارىء الكريم ويدفعه الى اقتناء الكتاب .

(1) المربد — ملحق ثقافى يصدر عن مؤسسة ، دار اليوم) بالسعودية . س 5 . ع 3 .

وأتساءل : ما أوجه الطرافة التى شدتنى باحكام ، الى مجموعة القصاص الجاد يمانى ، والمطابع تخرج لنا ـ فى العالم العربى ـ كل يوم ، العديد ؟! ألأنها من بلد آمن عزيز ، عز ورود عطائه الأدبى الحديث الينا ؟ أم لأن (القصة) فن يستهوى القارىء فى كل آن ؟

.. تصدر مجموعة المفكر الجرىء يمانى ، متخطية زحام الانتاج التقليدى السلفى ، فى الفكر السعودى ، وتذبذب انتاج الفكر الاسلامى المعاصر .! متحدية كتابة القصة الحديثة ، تلك التى شاعت ـ أو شىء لها ، النهج على رعشات الجنس اللقيط ، والتهافت على سراب الهجين من الابتداع فى المنزع والمسلك..

صحيح ـ بقدر محدود ـ أن جمهرة من نقاد الادب ، لا يعترفون ، أساسا ، بالبحث عن القيمة العقائدية ـ ضمن مقاييسهم ! اذ ذلك ـ فى اعتبارهم ـ عرضة للابداع الفنى ، والفن لا يرضخ للدين ولا للاخلاق .!

وما دروا أن القرآن ، عبر عن الانسان والحياة ، فثبت أنه الاعجاز ، وصح أنه المنهل الثر ، والنهر الزاخر لارواء الادب العربى ..

من هذه المفارقات ، تصدرت (اليد السفلى) معبرة ـ بصدق ـ عن ضرورة النفرة لخلق أدب اسلامى حديث (2) ، يجلى حقيقة الانسان وتطلعاته ، ويعلى من أشواقه ورغباته ، ويسطر الرسم الامثل ، للاجيال القادمة والحاضرة ، تلك التى تتنافس الاهواء الفاسدة ، والمقاصد المنحرفة ، على الايقاع بها ، بكل ضراوة مقنعة ، وحبكة محجبة .

(إن الادب العربى مدعو فى هذه الفترة التى تمر بها الامة فى نضالها ضد أعداء الانسانية ، الى الاخذ بالتصور الاسلامى فى معالجة القضايا ليحقق الانسان أهدافه فى الحياة الحرة الكريمة ... وهى رسالة تقوم على الحق والخير والجمال) (3) .

---

(2) قد يستنكر ـ بل قل : قد يمتعض البعض ـ من هذه التسمية ـ على مستوى النظرية والتطبيق ـ ! ولم الاستياء ، وقد جرى الاصطلاح على تسميات : الادب الجاهلى .. الادب الطلائعى .. أدب اللامعقول ...!

(3) أدب اسلامى : كيف ؟ د. أحمد مطلوب . مجلة العربى . ع 249 . رمضان 1399 آب 1979 . ص 57 ، 58 .

ولأصل الى النظر في محتوى (اليد السفلى) يتوجب طرح السؤال التالى : ما مقاييس الادب الاسلامى ؟ لاجراء الاختبار النقدى ، يخضع هذا الادب لموازين ثـلاثة :

1) مقياس اسلامى ، يتخذ معاييره من ركائز الدعـوة : عقائـدية كانت أم تعاملية (4) ، تلك التى وجهتها خوض معركة الجهادين أصغريهما والاكبر .

2) ميزان فنى ، يولد دعائمه من اللغة العربية البليغة : شعريـا وحياتيـا وعلميـا (5) .

3) معيار بيئى ، يصطفى مناهجه من أصيل التفرعات الحضارية ، وخصائص التعامل البشرى المتقوم بملامح من المحيط وأقباسه (6) .

من هذا الموقع المتميز ، انبعث هذا النتاج الادبى الذى نتدارس : متقوما بميزان الايمان الراسخ والمشع ، فجاءت اشراقات العقيدة وأنوار السلوك : أعلاقا (7) وضاءة فى دفق تسرى نحو أعمق أعماق الروح والوجدان ، فتستكن بنياط القلب .! كل تلك السبحات الانسانية الرائقة ، أتت متماسكة الاطراف بلطائف البيان الموحى ، والتعبير الميسر ، الآخذ بعضه برقاب بعض .. قـد تخشى على الأثر وقوعه فى طريق مسدود ، أو مطوح بك فى تيه الفكـاك من أسر الحدث .! غير أنك تحمد للقاص تماسك عبارته ، وما العبارة الا أفكـار أو لا تكون .! ــ فلا يضيع عنك الرباط الواصل .. كيف لا وقد طوع الفكـر ــ إثر مخاض المعاناة ــ تجلياته ورؤاه ! (... وكانت الفكرة تزداد إلحاحا كلما

---

(4) بسط الدكتور عماد الدين خليل ، هذه النظـرية بسطـا موسعـا ، فى كتابه : فى النقد الاسلامى المعاصر) .

(5) راجع الدكتور أحمد مطلوب فى مجلة العربى . ع 249 . ص 58 .

(6) يقول الاستاذ محمد مزالى : « بقدر ما نحن أوفياء لأصالتنـا ، ذائـدون عنها ، ترانا متمسكين بالتفتح فى معناه السليم والايجـابى ، منـذرين ومحذرين فى نفس الوقت من الانفتاح الذى يعنى الاخذ من الغير والتأثر به ومحاكاته من دون ميز ولا تثبت ، بل لمجرد كونه قويا ماديا واقتصاديا وتلك هى السلبية التى نربأ بمثقفينا وشبابنا الطالع أن يسقطـوا فى دركها ويصموا أنفسهم بعارها » . نافذة مفتوحة ــ مجلة الفكر . س 24 . ع 10 . ص 1 .

(7) الأعلاق : النفيس من كل شىء لنعلق الفؤاد به وميله اليه .

زرت مكة المكرمة ، وطفت بالبيت العتيق ، وسرت فى شوارع المدينة المباركة وحاراتها وأحيائها) (8) .

وستلقى الفكر ، بتحريك مما سبق ، ملاحقا — فى تصور منعش ، ومثر — لوحات وصورا ، هى شرائح من البيئة المعاشة ، بل قل : هى البيئة عينها ، بقضاياها وآمالها ، حية تتبرج مطواعة ، بين بصرك ... ولتلكم هى الأصالة المتينة ، والالتزام النير .!

* * *

يغادر « ولـد » فى التاسعة من عمره ، قريته « بنـى فهـم » صحبة والده المعدم باتجاه أم القرى ... وفجر اليوم الثانى قال الأب :

(— اسمع يا ولدى ... انه اول ايامك في مكة ولقد جئت بك الى هنا لكى تعمل وتساعدنى بالأجر الذى ستحصل عليه ...) (9) .

وعثر للصبى على عمل فى دار (العم عبد الحميد) وللفترة التى قضاها هنا آثار وتأثيرات هامة ، حددت مستقبل حياة الطفل ؛ ذلـك أن بالبيت طفلـة فكت وحدته وغربته ، وبالبيت سيدة أذاقته أرق ألوان « الأمومة » — وزوجها عبد الحميد أيضا ؛ وهو رجل العلم والوجاهة . خذ مثلا لذلك ، ما قاله — وهو يسلم الاجر — (لأحمد) ولنعلن اسمه من الآن .

(— خذ يا ولدى .. إننى أعرف الظروف القاسية التى دفعتك للعمل . لقد حدثنى الشيخ باقيس بكل شىء ...) (10) .

وتتساند المعاملة على هذا النسق ، فيرسم أحمد بمدرسة ليليـة ، بعـد اقناعه بطريقة ذكية من طرف عبد الحميد ، بضرورة التعلم ، فراح أحمد يبذل المجهود ، حتى قال الشهادتين : الابتدائية والثانوية العامة ...

وذات صيف بالطائف ، كان أحمد يسهر على راحة أهل بيت عبد الحميـد وضيوفه ، فأثار أحدهم مسألة دفع أحمد الى الجامعة .! نعم .. اليد السفلى الى الجامعة !! وقد حصل .. هنا نتوقف ، فعند السفر الى القاهرة ، شعر أحمـد

---

(8) اليد السفلى . المقدمة ص 7 .
(9) اليد السفلى . ص 18 .
(10) اليد السفلى . ص 49 .

بالألفة ترتقى (حبا) حبا للطفلة عزيزة .! وفى هـذا الـوقت بالذات أحس بعذوبة رنين « سيدى أحمد » حدث عن نفسه ، قال :

(فهذه أول مرة أسمع فيها هذا التعبيـر ، بعـد أن كنـت « الصبـى » و « الولد ») (11) .

وفى كلية طب القاهرة ، راصل أحمد جده وعزمه على ألا يعود لوطنـه الا بعد الحصول على الشهادة . ويقدر المولى ـ بعد مضى سبع سنوات ـ أن يموت عبد الحميد ، وأحمد على أعتاب سنة التخرج ، لكن أين الوفاء ! فيعود الطالب للتعزية . وبمكة علم أن زوجـة عبـد الحميـد تـوفيت أيضا ، وأن عزيـزة بالمستشفى ، لمرض عضال .. فعظم المصاب ..

عرف أحمد أن عزيزة رفضت الخطاب ، وأن علتها مجهولة لدى الاطبـاء ، وعند العيادة بدت إشراقة على وجه عزيزة الشاحب ، مذ رأت أحمد الى جانبها يمد يد الشوق ، فتوصلها بيد ضاغطة ..

(ـ رباه .. هل هذا ممكن ؟ هل يمكن لليد العليا أن تستقر بمحبة ومودة فى اليد السفلى دون حرج ؟) (12) .

عندها أحس أحمد بأن فرصته قد كانت ، لكن هل يعتبر زواجـه بعزيـزة نوعا من الاستغلال ؟ ولم لا تكون إشراقتها تلك من نبع البحث عن الحمـاية والرعاية ، لا من منهل الحب ؟ بعد أن فقدت أبويها :

(... فشعرت بيقين أن الله لن يخذلنى ، وأنه لا بد وأن يحقق أملى طال الزمن أم قصر) (13) .

وتتماثل عزيزة للشفاء خارج المستشفى بوجود أحمـد وخادمتها ، ويزمع الطالب على الرجوع الى مصر ، غير أن الله أراد كشف السر : فعزيزة تفكر فى أحمد ، وأحمد يشتاق لعزيزة : ولها ، وعشقا . وينعقد الرباط المقدس .

---

(11) اليد السفلى . ص 84 .

(12) اليد السفلى . ص 102 .

(13) اليد السفلى . ص 111 .

وعند سبر القضايا التى يطرحها الحوار ، تنهض قضية « اليد السفلى » و « اليد العليا » أو هى قضية « الحطة » و « الرفعة » .

نبع هذا المدلول ، من حيز السلوك الاجتماعى ، وقت غياب الحكمة الاسلامية : سليطا حتى على العواطف النبيلة ، مخلفا من ورائه : أنماطا من السقطات والسوءات . ولقد استطاع أحمد الخروج من متاهة (العقدة) فيرتقى ، بذاته ، من تصور الخادم ــ محط العجز ــ بمنزل أرستقراطى ــ موطن السؤدد والقدرة ــ الى استلهام مضاد ، مفاده : أن اليد السفلى تعنى التسكع ، وانحطاط الاخلاق ، وانحدار العواطف ، وأن اليد العليا تفيد العفة والعمل ، وبذل النفع للآخرين :

(ــ كيف تطاولت ومددت يدى السفلى الى يدها العليا) (14) .
وتزيد الخادمة الموقف جلاء ، حين تستنكر :

(ــ ماذا ؟... يد سفلى ؟... لا حول ولا قوة الا بالله ... يؤسفنى أن أسمع منك مثل هذا الكلام ، وأنت الشاب المتعلم .. وكنت تكسب رزقك بعرق جبينك) (15) .

....

ولئن تناولت (اليد السفلى) صراع الانسان المؤمن مع الرذيلة ــ حمأة الجنس ، وقهر الطفولة ــ فان (مشرد بلا خطيئة) ــ ثانية القصتين ــ تفضح نوايا الصهاينة الخسيسة ، وتظهر البعد العميق للجرح الفلسطينى ، وشرعية النضال العربى .

إن الأديب اليمانى ، يصبحنا معه ، فى رحلة داخل قضية عاشها أساسا من إحساسه القومى الواعى والسوى ، دونما إسقاطات مفتعلة ، أو تخريفات عاطفية من مواقع الأبراج العاجية ..

ويتعاظم الشعور بالغبن ، حين توالت عصابات المستعمرات الصهيونية بالهجوم المسلح ، والضارى ، على قرية « عين كارم » وحين تشرد اليها من نجا من مجزرة « دير ياسين » الى أن تتشرد « عين كارم » نفسها ، بل فلسطين ..!

وحين جعل السيد يمانى « عين كارم » على اتصال وثيق بالاحداث الجارية

---

(14) اليد السفلى . ص 70 .
(15) اليد السفلى . ص 121 .

فى القرى والبلدان المجاورة ، وحتى بغير المجاورة ، لم يحد عن الصواب .. ذلك أن تلميحا نقديا وضع من أجل ثغرة بـ (ثقب فى الجـدار الصـدىء) للقاص العراقى عبد العزيز المطلبى (16) .

(إن عزل القرية الفلسطينية عن إطارها الجغرافى والسكانى فى الـوقت الذى تواجه فيه الاحتلال الصهيونى مسألة مناقضة للمنطق والتأريخ . وإلا لماذا ينفرد العدو بالتخطيط لعزل هذه القرية عن غيرها من القـرى والمـدن الاخرى ؟ ولماذا ينفرد سكان هذه القرية بالنضال بعيدا عن النضال الجماهيرى فى بقية أرجاء فلسطين) (17) .

وجه الافتراق ، أن قصاصنا يمانى ، نصب عمله على خلفيـة تاريخيـة ، ولاكتمالها اشتد البناء ؛ كما لم تشغله ملاحقـة المحـور ـ وهـو عجـم عـود الصهيونية ومعالجتها بالتى هى الداء ! ـ عن البحث فى النكتة ككل ..

وبتعبير مختصر ، ظهرت شخصيات (مشرد بلا خطيئة) أكثر تنوعـا ، وحركية ، وتنقلا ، مرد ذلك ـ بلا ريب ـ عمق قضية فلسطين ، فى الزمان والمكان ،وفى الانسان .!

وبفكر قدير ، كثف كاتبنا شخصياته ، والاستطرادات والجزئيـات ، فى خدمة العقدة ، ولقد استطاع ـ ببراعة فائقـة ـ الجـوس فى أغـوار النفس البشرية ، والابلاغ عن نفسيـات شخصيـاته اللانمطيـة المرتكـزة ـ عنـد الاسرائيلى ـ على المراوغة ، والدهاء والمخاتلة ، والتخطيط للمستقبل ! ـ وعند العربى ـ على الأخلاق السليمة ، والسذاجة ، والقدرية ..!

....

وإنها الكيمياء (الألفاظ الرقيقة) ـ على حد تحديد ابن الأثير ـ تكفلت بعملية الايصال والربط (18) .

ومع ذلك ، فانى واجد بالمجموعة سقطات فى الأداء التعبيرى ، والاملائى .. فمن هاته الاخيرة : سقوط الشدات ـ باستمرار ـ مما يودى بالقـارىء الى التخمين ، واعتقادى أن مرجع هذا : المطبعة . خذ أمثلة لذلك :

---

(16) عمدت الى احضار هاته الموازنة لوحدة الموضوع فى القصتين .
(17) المطلبى ومحاولة الوصول الى البداية ، الاستاذ رزاق ابراهيم حسن . مجلة الأقلام العراقية . ع 5 . س 13 . ص 35 .
(18) ضياء الدين نصر الله بن الاثير (1962 م ـ 1239 م) . درس بالموصل ، ومات ببغداد .. اتصل بصلاح الدين الأيوبى بدمشق . لـه كتـاب : (المثل السائر ، فى أدب الكاتب والشاعر) فى النقد .

(أقبل الركن اليماني) ص I4 . (أؤدي واجبا محتما) ص I5 .

ومن الأولى ، الاتيان بـ (قبلا) ص I4 ـ وفي مواقع عديدة جدا ـ هكذا معربة والأصح أنها مبنية على الضم ، ولا يلحقها الفتح ـ لا التنوين ، الا اذا أضيفت . كذلك (حاز) تتعدى بنفسها في (ولو كزت على شهادات الدنيا) ص I02 . وتتوارد استعمالات حروف الجر على هذا النحو ، غير البليغ ، في أمكنة أخرى ، مثلا : (ترغبون في الحديث فيها) ص I0I . و (أوصاني منذ زمن على صبي) ص 42 . يقال : أوصى له بشيء ، وأوصى اليه ؛ عهد اليه فيه ، وجعله وصيا . فأوصى لا تتعدى بـ (على) ولا تنس أن (أوصى) لم تستعمل هنا في مكانها البليغ لعدم اقترانها بقرينة ، كـ (التفتيش) .

ومن هذا القبيل : (أنا على ثقة من أن ما سوف يجرى بعد قليل سيجيب) ص 23 . وسبب التداخل هنا ترتيبي ، يهم سوف والسين . لنا أن نقول : (أنا على ثقة من أن ما سيجرى بعد قليل سوف يجيب) لأن التنفيس عالق بالاجابة لا بالجريان ، إذ السين (تخلص الفعل للاستقبال ، وسوف فيما لم يكن بعد) .

أيضا ، ينبغي تحوير (ليس بيني وبينها ، من مسافة سوى أقل من ذراع أو بعض ذراع) ص I00 . وذلك بحذف (أقل من) ... ونعوض (شاركناهم) في (لقد آويناهم ، وشاركناهم حياتنا) ص 228 بـ : (أشركناهم) .

* * *

يحق لي ـ ومعذرة قارىء الكريم ، بعد هذه الصفحات ... ـ أن أبارك هذا المسعى النابع من الايمان (بفحولة) الطفل العـربي (I9) ، وبنـور الاسـلام الوضـاء .

ومن ثم ـ ولا عجب ـ أشعت اللمسات ، مخلصة أمينة ، ليثبت هذا الأثر : سليم المعاناة ، ملتزم الرؤية متأصلهـا . ولـذلك من مشكـاة دعـوة الأدب الاسـلامي .

مصطفى بوهلال

(I9) شاء الدكتور محمد عبده يمـاني إهداء مجموعة هـاته : (إلى الطفـل العربي المكافح المتطلع بروحه العظيمة الى غـد أفضـل ، والمقتـدر على مواجهة الصعوبات ، الى الطفولة التي فرضت عليها الظروف أن تكافح وهي بعد في سنواتها الأولى) ص I0 .

بريد القراء

من أعماق المنجم

قصة : على عزيزى

فى الصيف الفارط ، كنت أختنق من شدة الحرارة . وكنت فى أشد الحاجة الى تغيير مجرى حياتى ،، فأنا دائما سجين أتعثر فى ظلام الوحدة والقلق ،، وكان زميلى « عبد الله » قد عرفنى بصديق له اسمه « ظافر » يقطن ببلـدة « الرديف » وألح على أن أزوره فرارا من أحزانى ،،،

وذات صباح ، كنت فيه قلقا عبوسا ، سافرت الى بلدة « الرديف » فقابلت « ظافرا » ومعه شيخ ،، ولما سألت عنه ، أجابنى بأنه والده ، وهو مريض بضيق التنفس نتيجة الغبار المتراكم فى دهليز المنجم ،،

وفى اليوم الموالى ، رحت أتأمل المنجم ، فاذا به جحيم يشقى فيه من الاحياء كثير للحصول على لقمة اليوم ! فقلت لنفسى : ما أعسر حياة المناجم ، وما أشد عذاب هؤلاء العمال الكادحين الذين يعيشـون فى خطـر ،، إن العمـال بمجهوداتهم وتضحياتهم هم مستقبل الحياة الباسم .

كانت هذه الافكار تضج فى رأسى وظلام الدهليز يقطـع أنفـاسى عندما سمعت صوت أقدام تقترب ، كان « ظافر » قد أقبل ووراءه والدته العجوز ، ودخلنا جميعا الى الكوخ ، وجلسنا نتحادث .. وكان الشيخ يتنفس بصعوبة، ويبدو من حركاته أنه يعانى أوجاعا حادة فى كامل جسمه ، ولكنه ــ على الرغم من ذلك ــ كان صامتا صبورا . ولاحظت أنه اختصنى بنظراته ، ولاحظ هذا أيضا « ظافر » ووالدته فتركانى معه ، وانصرفا الى خارج الكوخ المشرف على المنجـم ،،،

كان الشيخ جالسا القرفصاء على حصير بال ، وقد ألقى بعصاه على الارض، وكنت جالسا على مقعد من الحطب بجواره . وعندما دعوته بلطف ليحدثنى ..

استجاب ثم راح يستعيد شريط حياته ، ويخاطبنى فى صوت خافت ، حزين ، مات والدى وأنا شاب مثلك ، وكنت أعمل معه جنبا الى جنب فى هذا المنجم لاقتلاع القوت . وذات يوم - بينما كنت أراقب بعض الانابيب - إذ بحامض فسفورى يتطاير فيصيب وجهى ، وسرعان ما صحت من الألم ، وقدم رفاقى مذعورين ، فلم يجدوا سيارة لنقلى الى المستشفى ، وبقيت أتلوى واستنجد والدم يسيل بغزارة الى أن أغمى على ،، وبعد يومين من الحادث ، وجدتنى على فراش العلاج ووجهى لم يبرأ بعد ، وزارنى مدير المنجم ، فأعلمنى بأنه مجبر على حرمانى من مباشرة العمل لتدهور حالتى الصحية ، وكدت أجن !

وبمجرد خروجى من المستشفى ، أصبحت أيامى ثقيلة ، وكبر الألم فى باطنى ، وبلغ ذروته . كنت أتعذب ، وكنت كلما أنظر الى وجهى الغريب تضطرم الاحاسيس فى نفسى ، وعلمت خطيبتى بالحادث الفظيع .. فتأسفت لحالى ، ورحلت ! وحاولت الانتحار من بعدها لانها كانت لى كل شىء ، كانت حياتى ومستقبلى ، وكنت حين أجلس الى جانبها ، أحس بالعالم كله يبتسم لى ،، وكنت أنتظر اليوم الذى أتزوج فيه فتحادثنى وتواسينى ، كنت أحبها حبا خالصا ، وبعد أن فقدتها ، أظلمت حياتى ، وداهمتنى غربة ساحقة . كنت أنظر فى المرآة ، فلا أجد سوى وجه قبيح شوه وجودى وأوحشه ، لقد انطفأ الامل الذى أعيش من أجله ، فلم يعد لحياتى هدف أسعى اليه ، هل تتصور معاناتى بعد الحادث ؟ اننى استلقى على البلاط لأدفن وجهى فى صدر الوسادة وأتنهد ، فقد كان فى قلبى غراب أسود ينعق ، وكنت أتخيل أبى ، وأقاربى ، وأحبابى ، والمنجم الذى ابتلعهم ، ووجهى الذى كان مشرقا ، ثم أتخيل خطيبتى الخائنة والعمل ،، وأبكى بمرارة !

كنت أحاول أن أتناسى مأساتى ولكن بلا جدوى ، فتوغلت فى عالم كله تيه وحسرة . كانت أقسى اللحظات فى عمرى تلك التى أبقى فيها وحيدا فى الكوخ . وكنت أخرج فى صحبة والدتى الى السوق ، وقدمتنى الى بعض قريباتها ، وتعرفت بامرأة سرعان ما لفظتنى ، ثم عرفت ثانية ، وثالثة ، وسرت غصبا متعثرا فى طريق الانتحار .

وفى هذه الهوة ، امتدت لى يد أرملة أرادت أن تخلصنى من وحدتى وتتزوجنى ،، وكنت أفتقد الى الحنان ، فربطت مصيرى بها غير متردد . ولكن ، لم يكد يمر شهر واحد حتى نضبت كل نقودى ، ورأيت ذلك الزواج ينقلب الى جحيم لا يطاق ،، ووجدتنى أعود الى مدير المنجم متوسلا ليسمح لى

بالعمل ، ولكنه كان شديد القساوة ، ومن فرط الغضب والحزن والجوع ، أغادر الكوخ كل صباح الى السوق لأعمل « براوطيا » وأعود وفى جيبى بعض النقود لا تكفى لتوفير الطعام !

واذا تعبت يوما شتمتنى زوجتى شتما لاذعا ، وهددتنى باهمال الصغير ، إننى أصبحت لا أتمنى إلا شيئا واحدا هو أن يغفر الله ذنوبها ، كانت أنفاسه تكاد تتقطع ، فقلت له فى رفق :

ــ ان ابنك « ظافر » قادر على أن يهىء لك حياة كريمة .

فأجابنى قائلا :

ــ أنا أحب ابنى حبا جما ، فلا أفكر إلا فى مستقبله وسعادته !

وعجبت لهذه التضحية الفريدة التى لم تقهرها المحن والخصاصة . ثم لفتنا كآبة صامتة ، وحول الشيخ بصره نحو باب الكوخ ، وكان وجهه المشوه يخفى غضبا صارخا ، فيبدو وكأنه أرض اجتاحها زلزال عنيف . كان يسبح فى عالم حيرته ، فمددت يدى ولمسته برفق ، فرأيت صدره يعلو وينخفض ، وحدق فى مليا ، ثم بدا عليه انفعال غريب ، واستحال فى لحظات الى بركان مشتعل يريد أن ينفجر ! ما أقدر الانسان على الصمود والتحدى ! وكنت قد ذبت ألما لما يعانيه هذا الشيخ من يأس وغضب ، وما يعانيه رفاقه جميعا من أخطار ، وانتفضت من مكانى ، فقال لى :

ــ حان وقت العشاء ! ابق الى جانبى !

فأجبته بلطف :

ــ انتظرنى سأعود بعد حين !

وغادرت الكوخ ، وقابلت الظلام . كان الليل عذابا صامتا ، وكنت أريد أن أحطم أغلالى ، وأدفن شقائى ، وعزمت على أن أذهب الى المنجم لأصيح فى أعماقه لحد اللاوعى ، والغضب والظلام ومأساة الشيخ وأمثالها تطاردنى ... واندفعت بخطوات ثابتة الى الجحيم ...

على العزيزى

أصداء الفكر

● **رؤية جديدة في مجال الثقافة بتونس :**

هذا نص الكلمة التى القاها الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية ورئيس تحرير مجلة « الفكر » فى الحفل الذى أقامته أسرة النادى الثقافى « أبو القاسم الشابى » بالوردية على شرفه بمناسبة تعيينه وزيرا للشؤون الثقافية وذلك يوم الجمعة 23 جانفى 1981

بسم الله الرحمان الرحيم

أيها السادة والسيدات

انى مائر شديد التأثر بما حبانى به اخوانى فى هذا النادى عند اقامة هذا الحفل بمناسبة تعيينى من طرف المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وزيرا للشؤون الثقافية .

وانه ليسعدنى أن أتوجه بالشكر الى أخى محمد العروسى المطوى رئيس هذا النادى والى أخى وصديقى الأستاذ الجيلانى بن الحاج يحيى الأمين العام للنادى والى كل الاخوان الحاضرين الذين لا أشك أنهم يعتبروننى منهم واليهم من عائلة الأدب والفكر والفن .

وبهذه المناسبة التى لا أريد أن آخذ فيها الكلمة بصورة مطولة نظرا الى التأثر البالغ ، ونظرا الى أننا فى الوزارة ما زلنا نتحسس خطانا فيما يخص الخطة التى نريد أن نضعها فى مجال التنمية الثقافية .

وقبل هذا أريد أن أشكر مرة أخرى للسيدين رئيس النادى والامين العام لهذا النادى على ما جاء فى كلمتيهما من عبارات لطيفة طيبة تجاهى ، وأنا أشكرهما على ذلك جزيل الشكر ، وأقول : رغم أننا ما زلنا فى وزارة الشؤون الثقافية نتحسس الخطى فان أهم الخطوط العامة للتنمية الثقافية هى موجودة فى أذهاننا ومرسومة أيضا فيما يكتبه الكثيرون منا ، ونحن على كل متفقون فى الاتجاه الذى يجب أن تأخذه الوزارة فيما تزمع القيام به من عمل فيه

تنمية للثقافة ، وفيه دفع للحق والابداع . وفيه حل أيضا لكل المشاكل أو على الاقل لجل المشاكل التى تعرقل هذه التنمية الثقافية .

وأنتم تعرفون أن المجاهد الاكبر عندما عين فى وزارة الشؤون الثقافيــة واحدا منكم انما هو فى الواقع تكريم للأدب والفكر وتقدير لهذه العائلة التى لا يزال سيادته يخصها بعنايته ورعايته ، ويعتبر أن ما تقوم به انما هو دائما فى خدمة الثقافة القومية الاصيلـــة .

ولهذا فان العمل الذى سنقوم به انما هو عمل مشترك وعمل نتفق فيه على خطوطه العامة ، وفيه مساندة من حكومة المجاهد الاكبـر وعزيمـة أيضا عـلى القيام بعمل نخرج به الثقافة من طور الى طور آخـــر .

وفى بداية هذه السنة أى فى بداية الثمانينات ـ والمجتمع التونسى يدخل فى عشرية جديـدة والمستوى الثقافى والتعليمى يرتفع شيئا فشيئا ـ من الطبيعى أن يكون العمل الثقافى أكثر عمقا وأكثر احكاما للخطة وأبعد أثرا فى النفوس وفى جميع الطبقات .

لهذا أقول ـ اجابة عما ورد فى كلمة السيد رئيس النـادى ـ : إننـا فى الواقع قد بدأنا نطبق ما نقول . وفيما يهمنا على الاقل بالنسبة الى الكتـاب والادباء فان الحكومة قـد أقرت فى قانون المالية لميزانية هـذه السنة دعما للكتاب يتمثل فـى رصد مـا يقرب من خمسمائة ألف دينار مـن صنـدوق التعويض قصد دعم ورق الكتـاب الثقافى ، وهذا ما من شأنـه أن يخفض من سعر تكلفة الكتاب بنسبة 16٪ ، وهى عملية لها قيمتها ، اذ تضاهى مـا تقوم به الدولة فيما يخص الكتاب المدرســـى .

ونحن مزمعون على أن نواصل هذا الدعم بالنسبة الى الكتاب سواء فيمـا يخص الاشهـار أو فيما يخص تسهيل التمويلات لدور النشر ولكل من يهتم بهذ القطاع ، وكذلك فيما يخص الشحن فان الدولـة تزمـع عـلى أن تساهم مساهمة كبيرة حتى يتمكن الكتاب التونسى من منافسة الكتاب العربى فـى كل الاقطار الشقيقـــة .

ولهذا فاننا فى الواقع قد بدأنا فى العمل ، وهذا العمل هو عمل الحكومـة كلها . والحكومة هى واعية ، والسيـد الرئيس أيضا متجه فى هذا الاتجاه ، ولا اريد أن أكشف عن الخطة المزمع القيام بها ان شاء الله ، وذلك نظرا الى أن كل الادارات والمصالح فى وزارة الشؤون الثقافية منكبـة الآن عـلى تقييم

الوضع وعلى دراسة الاتجاه الذى يجب أن نتخذه ، لكن على كل نحن متجهون الى أمور هامة خاصة فى ايجاد ما نريده من دعم للثقافة فى قالب صندوق أو غيره لتشجيع الثقافة ، وسنبحث عن تمويل له . والى جانب هذا نريد أيضا أن تستغل ما للخواص من امكانيات مالية حتى نشجعهم على الاستثمار فى القطاعات الثقافية وهذا لا يتم الا بالتعاون مع وزارتى المال والاقتصاد الوطنى .

وفى مجال السينما قد بدأت الحكومة أيضا فى سن قوانين ووضع اجراءات ادارية لها قيمتها ، وستمكن هذا القطاع ، أى قطاع السينما ، من أن تكون له الامكانيات الكافية بالنسبة الى الخواص وحتى بالنسبة الى المجموعات المحلية ليبنى قاعات السينما ولينتج الافلام ، وهذه القرارات ستصدر قريبا ان شاء الله ، وهى كفيلة بأن تنهض بهذا القطاع .

ولهذا فنحن سنوجه عنايتنا الى القطاعات الثقافية كلها سواء منها الموسيقى أو السينما أو النشر أو كل ما يمكن أن يدفع المستثمرين الخواص للمساهمة فى تنمية الثقافة . وكل ما لا يمكن للخواص التونسيين أن يقوموا به ـ وهم الذين نموا كثيرا من القطاعات كالصناعة والفلاحة والسياحة وغيرها من القطاعات الاخرى التى لم تبق الدولة وحدها هى العاملة فيها ـ ، فاننا بما سنوفره من أموال كافية سنتمكن من سد الحاجات الكثيرة التى يتطلبها المستوى الثقافى الذى وصل اليه التونسيون .

وأود بهذه المناسبة أيضا أن أقول : انه يجب علينا أن نفتح حوارا مستمرا ومكثفا فى جميع المستويات مع أهل الثقافة كلهم ، لان الثقافة بدون حوار لا يمكن أن تكون لها قيمة ، ولا يمكن أن تثرى ، ولا يمكن أن تؤتى أكلها . ولهذا فنحن سنكثف هذا الحوار بصور عديدة ، وسنمكن كل رجال الثقافة من الاصداع برأيهم ومن التعبير عن أفكارهم وكذلك من الخلق والابداع .

وهذا يلزمنا أيضا فى وزارة الشؤون الثقافية أن نعيد النظر فى الهياكل الموجودة فى صلب الوزارة أو التابعة لها حتى تتماشى مع هذا الاتجاه ومع هذه النظرة الجديدة وحتى يتلاءم عملها مع كل ما سنقوم به من أعمال فى هذه الخطة المزمع القيام بها .

وأريد أن أقول أيضا كلمة أخرى بدون اطالة ، وهى انه يجب علينا ـ وفى تونس كفاءات كثيرة لا فى مجال الادب والفكر فقط بل فى مجال الفن وفى مجالات الثقافة كلها ـ أن نتفتح أكثر على البلدان الشقيقة والصديقة وخاصة

البلدان العربية ، وهذا نجده دائما ربما في قالب لوم من أشقائنا لأننا كأننا نشح عليهم بما لدينا من أفكار وما لدينا من أعمال فنية ، ولهذا فاننا سنتجه بدون أي تقصير أو شح الى أن يعرف اخواننا أكثر ما يمكن من معالم الثقافة التونسية من مسرح وسنيما وأدب وفن وموسيقى وغيرها ...

ونحن نعتقد أنه لا يمكن أن تزدهر الثقافة في بلادنا اذا هي بقيت منغلقة ، وبقى المثقفون التونسيون متقوقعــون ومنكمشــون . وهذا يلزمنا ــ نحــن رجال الثقافة ــ بأن نكون في أعمالنا وفي خلقنا وابداعنا لا متجاوبين مع ما يتطلبه منا المناخ المحلي فحسب ، بل يجب أن يكون عملنا أيضا له أبعاده ، ولــه تأثيره ، وله اشعاعه في نفوس غيرنا من البلدان الشقيقة والصديقــة أيضــــا .

كذلك يجب أن نوسع آفاقنا لا لاوربا بل الى أبعد من ذلــك ، الى بــلــدان أخرى في العالم الجديد ، حتى يمكن أن نتفاعل أكثــر .

هذه في الواقع طموحات ، ولا يمكن أن تكون تلك الطموحات حكرا علــى وزارة الشؤون الثقافية ، بل من الواجب أن يتجاوب معها كل رجال الثقافة ، ونحن ما علينا الا ان نوجد الامكانيات ونذلل العراقيل والصعوبات ، ولهــذا فانه ليس هناك أي مجال للتعثر ، خاصــة وأننا ــ كما قلنا مرات عديــدة ــ يجب أن تكون سفاراتنا أيضا من هذه الناحية في مستوى العمل الذي سنقوم به ، وسنعتنى بخطة الملحق الثقافي ، وان شاء الله سنتفق مع المسؤولين ، وبالاخص مع وزارة الشؤون الخارجية ، ليكون الملحق الثقافي هو حقيقة من أهل الذكر في ميدان الثقافة ودائما باتصال معها ودائما عارفا لما يتم ويقــع بالساحــة الثقافية في بلادنــا . وهذا أيضا دعم كبيــر ، من شأنه أن يوسع آفاق عملنا وآفاق خطتنا حتى تكون كل الخبرات الموجودة فــي العالم لهــا صداها هنا في تونس .

هذا حضرات الاخوان بعض ما يمكن أن أقوله بكل ايجاز في هذه المناسبة التي أردتم من خلال تكريمي فيها تكريم الأدب والفكر الذي أدعى أنني أنتسب اليه . وأنتم تعرفون أني واحد منكم ، وأن كل ما أفكر فيه وكل ما أزمع القيام به انما هو معروف وليس بغريب عنكم ، ولهذا أشكر هيئة النــادي وأشكــر كل الاخوان على هذه الفرصة الطيبة التي أتاحوها لى للحديث عــن الثقافة ، وأقول لكم : الى اللقاء في مناسبات أخرى ، وشكرا .

واثر هذه الكلمة ألقت الاديبة حياة بن الشيخ قصيدا بعنوان « **رسالة وفاء** » هذا نصه :

يـا حبـا جئت أجـدده   قسـمـا بـالـــود أردده
« لبشير » أهدى أغنية   مـن قلب فـاض تـودده
فى الصدر أرى أملا ثملا   يطفو بالشـوق وأخمـده
قد حار الشعر أينشدنى   أم أتـرك روحى تنشده
ماذا ؟ أهل الدنيا ضحكت   أم أن الفكر صفا غـده ؟
أم ليلك يا بلدى من بعـ   ـد ظلام أشرق فرقده ؟
بشـرى لثقافتنا بـوزيـ   ـر يحيى العزم ويسعده
عقل يغزو الافكـار بحكـ   ـمته ، والوعى يسانـده
الصدق « بشير » سيده   والحق « بشير » رائـده
شعت فى الكون بشائره   تـذكى الالهام وتـوقـده
يوم صدحت فيـه مهج   حـل التاريـخ يخلـده
درب للمجـد تـنـازعـه   يناى ، والفكـر يمهـده
ضجت بشمائـلـه كتب   تدعو الاخـلاص وتشهده
لا يسأل رأى عن سنـد   الا و « البشـر » يؤيده
قلـم يبنى « لسـلامتنا »   صرحا قد عز تـواجـده
ذى نفحـة حب ارسلهـا   مـن صب طـال تهجـده
« لبشير » روحى عاشقة   وحبيب القلب « محمده »

● **مناهج تدريس الادب فى الوطن العربى :**

شارك اتحاد الكتاب التونسيين مع اتحاد الكتاب والادباء العرب فى ندوة « مناهج تدريس الادب فى الوطن العربى » التى انتظمت بتونس أيام : 13 ـ 14 ـ 15 فيفرى الجارى بدار الثقافة ابن رشيق .

وتضمنت هذه الندوة المواضيع التالية :

1 ـ مادة تدريس الادب العربى كما هى واقعها وكما ينبغى ان تكون عليه هذه المادة .

2 ـ منهج من اجل التذوق والابداع أم من أجل تتبع تاريخى للادب ؟ .

3 ـ منهج تدريس الادب فى ضوء غاياته الوظيفية وأهدافه .

وقد حضر الندوة عدد من الكتاب والادباء من تونس والبلاد العربية الشقيقة

● **فى دار الثقافة ابن خلدون :**

على امتداد المساحة الزمنية لايام 10 و 11 و 12 فيفرى 1981 انتظم بدار الثقافة ابن خلدون لقاء أدبى كان من حظ الشعراء محيى الدين خريف وحميده الصولى ونور الدين صمود حول دواوينهم التى صدرت أخيرا وهى

1) « مدن معبد » صدر عن مؤسسات ع.ك.ع.
2) « الحريق حتى الاخضرار » صدر عن مجلة « الاخلاء » .
3) « صمود » اصدره الشاعر على نفقته .

● **فصـل بعنوان : « الفكر متميـــزة »**

تحت هذا العنوان نشرت (باللغة الفرنسية) جريدة « لابراس » فى عددها الصادر فى 1981/1/31 ص 3 بقلم : ع. المسعودى ما يلى :

ان « الفكـــر » التى جـاءت غداة الاستقلال بمثابـة الحجة الدالـة عليـه وبمثابة دعم لاركانه ، تظهـر اليوم بسنيها الخمس والعشرين المنصرمـة لا كمجرد دورية بل كعمل فكـــرى .

انها عمل كامل باعتبارها عصرا وباعتبارها بلورة لجملة من الاحلام حققهـا الاستقـلال ولكن الهشاشة المادية والفكريـة لبلد صغير جديد تجعل منهـا مشروعا غير يسيـــر .

بيد ان هذه الاحلام العزيزة على قلب كل مثقف تتمثل فى التفكيـر المتميز اعلم ان هذه العبارة لا تخلو من حشو ، ذلك ان التفكير لا يكون الا متميـزا ، وفيما يخص « الفكر » فان هذا التمييز يتأكد بقدر ما ينهل من رغبة الرسوخ المزدوج بل المثلث :

- رســـوخ تفـــردى
- رسوخ كجـزء من ذات
- رســـوخ كـــذات

ويتعلق الامر باستحقـاق الشخصية والتونسـة والعروبة ، انه نزول الى الاعماق قصد بلوغ البياض الاصلى ، حسب عبـارة « مالارمى » القائلـة بـأن الكتابة وحدها بوسعها ان تعثر من جديد على المطلـــوب .

ولكن يجب الانتباه الـى ان « الفكر » دوريـة اى حركة وستبقى كذلـك ، فالحركة هى وحدها الكفيلة بتغيير الزمن أى الحياة .

وان الاجيال القادمة ستضطلع دون ريب بتقييم اسهام مجلة مثل « الفكر » فى تغيير الحياة الثقافية التونسية . وفى انتظار ذلك فانه ليس من المبالغة فى شىء ان نقول : ان هذه المجلة التى اختارت التفكير وسيلة وغاية (وهى ما يسميه بعضهم هوايـة) وتفتحت على كل عزلة (وهل الكتابة غير ذلـك ؟) موحدة بينها ، تستحق مكانة مرموقة ضمن قيادات تاريخنا الفتـى .

ان « الفكر » بوصفها عمـلا متوحد الجوهر يؤلف بين التفكير والحيـاة ، بامكانها ان تبتكر جيلها الجديد مضمونة النجاح .

● **عـرض المجـــلات :**

فى هذا الركن نشرت (باللغة الفرنسية) جريدة « لابراس » فى عددها الصادر فى 1981/1/31 ص 3 فصلا بقلم : محمد مومن نقتطف منه ما يـلى :

لنثبت هذا الحدث العميق الدلالة ! هل لاحظنا ان مجلة ثقافية مثل مجلـة الفكر قد أصبحت ظاهرة قومية ؟

ان مجرد وجود « الفكر » هو فى حد ذاته عنوان فخار .

وان للفكـر عنوان فخار آخر يتمثل فـى ما احرزتـه من نفـوذ خلال فترة زمنية طويلة نسبيا : خمس وعشرين سنـــة .

ان ربع قرن فـى أماكن أخرى يعتبر فترة دنيا ، فترة زهيدة ، ولكن ذلـك يحدث فى موضع آخر ، اما عندنا فان البقاء طوال عشريتين يتعلق بالمغامرة ، وبالمعجزة الى حد مـــا .

معجزة ! ليس ثمة عبارة أخرى لوصف القائم عندنا فى هذا المجال .

والمعجزة ليست فى حقيقة الامر فى ظهور مجلة مختصة وانما فى ديمومتها وطول نفسها ، ذلك أن المجلات التى برزت للوجود فى بلدنا كثيرة ، ولكن المسألة محـل أخذ ورد بصورة مدوخة فالمشكلة الاساسية تكمـن اذن فـى سرعة الزوال وفى الدورية .

ولا قيمة لمجلة الا فى قدرتها على ان تصبح مرجعا وفى انتصابها فى مكان ما مرآة ينعكس فيها عصر وثقافـــة .

وسواء تقبلنا الامـر أم رفضنا فبوسع « الفكر » ان تكون مرجعـا لكل من يرغب فى أن يعرف وان يختبـر ما بلغـه البشر والافكـار من مرحلة انمائية عندنا ، وقد تحصلت « الفكر » على هذه الصفة باستمرار صدورها ، ولا تبدو هذه المنزلة الخاصة فى متناول كل مجلـــة .

● **مجلة الفكر فى عيد الوفاء :**

نشرت مجلة « أضواء » فى عددها الصادر فى ديسمبر 1980 السنة الثالثة كلمة بقلم الشاعر حميده الصولى حول مهرجان الفكر فى عيدهـا الخامـس والعشرين تحت عنوان « مجلة الفكر فى عيد الوفاء » جاء فيها ما يلى :

حين قدموا الى قصر المؤتمرات بعاصمة تونس العربية للاحتفال بمرور ربع قرن من تاريخ ولادة (مجلة الفكر) كانوا يختزنون فى الذاكرة آلام قرون واوجاع أحقاب زمنية ما زالت تتوالد على أرض الواقع . ففى الساحة العربية ـ فى بعض الاقطار ـ يعد صمود المجلة الادبية خاصة لسنوات معجزة وعملا بطوليا يلقى التقدير والاكرام خاصة ممن يعرفون صعوبة هذه المغامرة .

لم يخف القادمون من مختلف الاتجاهات ما ترسب فى نفوسهم من حسرة على مئات المجلات التى أضاءت ثم انطفأت .. لكنهم وجدوا فى مجلة الفكر عزاء قد يطفىء بعض ما تأجج فى صدورهم من حرقة بما لمسوه من استمرارية وعزم عليها بكل صمود وثبات وفاء للعهد وتأكيدا للمبدأ .. فقد كانت منتظمة الصدور فى مواعيدها لا تتخلف لحظة مهما تغيرت الاوضاع والظروف طوال ربع قرن من الزمن وستبقى ... انها صديقة وفية للاجيال التى عاصرتها بمختلف اتجاهاته .. تفتح صفحاتها لكل الحركات الجديدة وغيرها وتدعمها .. لا ترفض غير ما لم يتوفر فيه الجانب الفنى اللازم وذلك من حقها .. سمتها التحرر مع التجذر .. وديدنها التفتح مع الاصالة . ويكفى القاء نظرة على بعض الارقام المشيرة الى المواضيع التى احتضنتها طوال المدة لندرك سلامة منهجها .

بهذه المناسبة أصدرت فهرسا يحتوى على كل ما نشر فيها منذ نشأتها .. وقد جاء فى مقدمته الآتى : « فان المتصفح لهذا العدد يمكن أن يعرف ان 1113 من الكتاب والادباء ساهموا فى الـ 250 عددا (علما بان المجلة تصدر عشرة اعداد سنويا وتعطل شهرين) صادر من اكتوبر (تشرين الاول) 1955 الى جويلية (تموز) 1980 وان 4.805 نص نشر فى هذه الفترة منها 1880 قطعة شعرية و 676 قصة و 1061 دراسة أدبية و 110 دراسة لغوية و233 موضوع تاريخى وجغرافى .. و 137 له صلة بالفنون الجميلة و 207 يخص كل ما يتعلق بالحضارة والثقافة والصحافة وغير ذلك من المواضيع الاخرى .

من هذه الفقرة يتبين للقارىء مدى اهتمام المجلة بالابداع فى الادب وكل ما يتعلق بالفنون الاخرى اذ كان نصيب الاسد للشعر خاصة الامر الذى يعكس رغبة المشرفين عليها فى تنمية العمل الابداعى وفتح المجال أمام المبدعين على اختلاف مشاربهم .

جاؤوا يختزنون الألم ويحملون باقات التهانى ويوزعون الابتسامات المشوبة بالتقدير والفرح والمحبة و .. الحزن .. حين صافحوا محبيين

مؤسسها الاستاذ محمد مزالي كانت الشفاه تلهج بما تختزنه الذاكرة والقلب والوجدان .. وكانت الاضمامة والبشرى والتمنيات بالبقاء والاستمرار .. وكانت لغة الاكبار والاحترام صادقة .. لكن لماذا الاكبار ..؟ هل لشخص مؤسسها باعتباره احد المسؤولين الكبار في السلطة لا .. أقول : لا .. بل لانها بدأت من الصفر وقاسى ذلك الرجل الأمرين من أجل أن تبقى الفكر ... فحتى في لحظة الألم الشديد (المشرف على الموت) لم يتذكر شيئا سوى الفكر .. ان تستمر الفكر في الصدور ... خوفا من التوقف ولم يخف الموت ورجل بهذا الاخلاص للفكر والثقافة أحق أن يحترم .. لم يكن يومها مسؤولا .. كان مجرد مرب .. والتضييقات أكثر من أن تحصر .. تحمل المشاق والاتعاب والمرارة أحيانا والحزن باستمرار بسبب الوصول الى ايقاد مصباح يضيء طريق « الفكر » فتضيء « الفكر » طرقات شتى .. وتضيء أيضا دواخل الاشياء والمتحركات فالعتمة اذ ذاك شاملة .. صفقوا اذن وتغنوا .. واثنوا ... لكنهم أيضا تحسروا على مصير مجلات مماثلة قد توقفت في بداية الطريق .

ولمجلة الفكر هذه تاريخ حافل بالاحداث والمغامرات .. مليء بالتحديات غالبا .. لا سيما وقد بعثت في فترة كان الشعب العربي في تونس الخضراء يضع أقدامه في أفق عهد جديد .. عهد الاستقلال الذاتي الذي توج بالاستقلال التام بعد ذلك التاريخ بقليل .. حيث كان ظهورها بشرى بانتهاء عهود الظلمة .. ورفضا للذل وايذانا بميلاد انسان الحرية الذي يقهر العراقيل ويتحدى ... ذاك الذي يصعق في وجه الاستسلام والتواكل .

حضروا اذن بهذه المناسبة الاحتفالية .. وقالوا ما في أعماقهم تجاهها ... فكانت المشاعر متدفقة والاحاسيس مجسدة على الورق وفي الصدى الطافح من الصوت ـ كل صوت ـ فكانت قصائد شعرية والكلمات تعبق تهاني .. تكريما للفكر ولرجل الفكر في عيدها الفضي « عيد الوفاء » .

لم يكن المشاركون في هذا الحفل من تونس وحدها بل حضر نفر من عدة أقطار عربية أخرى عايشوا مجلة الفكر وساهموا في النشر على صفحاتها وتتبعوا من خلالها مسيرة الادب والفكر العربيين في تونس العربية . وكان كل من شارك في هذا الحفل يود لو كانت المدة كافية لتقديم دراسات لجوانبها المتعددة فقد قال في هذا الخصوص الاستاذ الدكتور عبد الله شريط من الجزائر الشقيقة : « وليس في وسع أى منا أن يلم بخصال هذا المجهود

الضخم ليحلله او حتى ليستعرضه استعراضا عابرا فى كلمة او مقالة أو دراسة ... وكنت أتمنى ان لو استطاعت اسرة الفكر ان تطلب من المحتفلين بها بسنة مسبقة ان يخصص كل واحد منهم دراسة محللة لجانب من جوانبها»

وقال أيضا فى كلمته التى القاها بالمناسبة : « واذا كانت مجلة الفكر مجلة أدبية فى الدرجة الاولى بالرغم مما يوحى بـه اسمها الا أنها مجلة فكرية فى الدرجة الثانية . واذا لم أكن أنا رجل أدب يتذوق كل ما فيها من متعة الشعر ومشوقات القصة فانى أجد فيها من فائدة الفكر وعميق الدراسات ما يجعلنى أضعها فى مصاف مراجعى من الدراسات الاجتماعية والثقافية والفلسفية التى استفيد منها فائدة لا غنى عنهـا » .

وقال فيها الدكتور محى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : « فى مجلة الفكـر التقـى المفكرون العرب كتابا وشعـراء ودرج فى رحابه جيل من الشباب الذين يتصدرون الحياة الادبية .... وظلت الفكر منفتحة على الوطن العربى الكبير من أقصاه الى أقصاه .. تسجـل كل حدث قومى وتقوم كل جهد فكرى .. فكانت مرآة لتطور الفكـر العربى » امـا الدكتـور حسام فقـال : « عن طريـق مجلـة الفكـر اتصلنا ـ أقصد جيلنـا المشرقى ـ بالادب العربى فى تونس .. وكنا نحس احساس الفطرة انه أدب فنى وعريق ووفى لماضيه وتراثه ولفترة طويلة ظلت الفكر نافذتنا السحرية التى نطل منها على انتاج تونس بل انتاج المغرب كله » .

وباختصار ... فقد تداول على منصة الخطابة ما يزيد عن الـ 38 مفكـرا وأديبا وشاعـرا ردوا للفكر بعض الجميل الذى منحته للعديد مـن الاتجاهات والمثقفين .. فكانت أروع تحية حب من الابناء البررة الى الام الوفية الخالدة .

● **« الفكـــر » فى جريدة المحرر المغربية :**

كتب الاديب رشيد الذوادى فى ركن « متابعات ثقافية من تونس » بجريدة « المحرر » المغربية بتاريخ 21 جانفى 1981 ما يلى :

مجلة « الفكـــر » مجلة رائدة بحق فـى المغرب العربى .. لقد استطاعـت هذه المجلة التى تأسست فى أكتوبر 1955 ان تلعب دورا هاما فى اذكاء الروح الوطنيـة وتأصيل الكيـان التونسـى وترسيخ حـب الاصالـة والشخصيـة التونسيـــة .

ان «الفكر» التى احتفل المثقفون التونسيون والعرب بعيد ميلادها السادس

والعشرين قبل بضعة شهور ليحق لهـا أن تعتز بماضيهـا وبما ساهمت من جهود ومن نضالات .

ويعد مؤسسها الكاتب التونسي محمد مزالي الوزير الاول التونسـي من خيرة المناضلين في مجـالات الفكر والسياسة ، وقد أصدر عديـد المؤلفات منهـا : « وحي الفكـر » و « مواقف » و « دراسات » .. صدرت « الفكر » فـي الخمسينات وطبعت الثقافة التونسية بطابع خاص ومتميز .

هذه المجلة الرائدة بحق صدر عددها الجديد هذه الايام (العدد 4) جانفـي 1981 وقدم له الاستـاذ البشير بن سلامة وزيـر الشؤون الثقافية بافتتاحية تحمل عنـوان « من أجل تنميـة الثقافـة » تحدث فيها عن المجهودات التـي بذلت فـي سبيل تركيز الهياكل والمؤسسات الثقافيـة والدعوة الى اعتبار الثقافة عنصرا من عناصر التنمية الشاملة .

ونشرت « الفكر » عددا من الدراسات والقصائد منهـا : حديث للاستـاذ محمد مزالي بمناسبة مرور 25 سنة علـى تأسيس مجلة « الفكـر » وقد أبدى فيه آراءه في عديد القضايا كصمود الفكـر وثبات مواقفها وآرائـه في الادب التونسي شكلا ومضمونـا ، واحتوى هذا العدد على عدة قصائد ودراسـات هامة منها : البنـاء القصصي وأشكالـه عند يوسف ادريس ، وخواطر حـول الفقيد الصادق الفقي ، والعلامة عبد الحميد بن باديس في تونس ، والحيـاة الادبية والفكرية فـي القرن 18 و 19 بولاية الوطن القبلي ، والشاعـر المؤرخ الباجي المسعودي ، والثورة فـي الشعر التونسي المعاصـر ، وعلم التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة في تونس .

إن « الفكـــر » لخير بطاقـة للتعريف بالادب التونسي والثقافة القوميـة الاصيلـة .

● **التصاريـــف :**

كتاب من تأليف يحيى بن سلام وهو يبحث في تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه وقد قدمت لهذا الكتاب وحققته الاستاذة هند شلبي ونشرته الشركة التونسية للتوزيع في 410 صفحات من القطع الكبير .

ويندرج تحقيق هـذا الكتاب في نطاق خطة عمليـة تهدف الى الكشف عن اسهام افريقية التونسية في خدمة القرآن وعلومـــه .

● درب العـــودة :

هذا عنوان مجموعة قصصية للاديب محمد الخموسي الحناشي صدرت عن دار « صفاء » للنشـر والتوزيع والصحافـة في 142 ص من القطـع المتوسط وتحمل المجموعة ثمانية عناوين وهي : درب العودة ، التلميـذة والاستـاذ ، الوهم القاتل ، عـم ابراهيم ، المخبولة ، وردة ، الشهادة ، يـوم جديد !

نشكـر دار النشر على النسخـة التي وصلتنا منهـا ونرجو لهـا تواصل التوفيق في ميدان نشر الكتاب التونسـي .

● ابــن زيـــدون :

هذا كتاب جديد من الكتب التي تصدر عن سلسلة « طرائف الادب العربي » التي يشرف عليها الاستاذ عبد الوهاب بكيــر .

وقد حقـق هذا الكتاب الاديبـان : الطيب العشاش و د . جعفـر ماجـد . وقامت بنشره الشركة التونسية للتوزيع .

● حليمـــة :

هذا عنوان الرواية التي ألفها الاستاذ محمد العروسي المطوي رئيس اتحاد الكتاب التونسيين ونالت جائزة بلدية العاصمة لسنة 1962 . أعادت طبعها الشركة التونسية للتوزيــع .

والرواية كما هو معلوم تحتوى علـى 13 فصلا . وقد قسمها المؤلف الـى عنوانين هما : مغزل الصوف وحقيبة الحمام .

وقد وضع للرواية الاستاذ : ابراهيم بن مراد مسردا لغويـا لشرح بعض كلمات اللهجة العامية الواردة في نص الروايـــة .

● أربعة كتب للأطفـــال :

أصدرت دار « صفـــاء » للنشر والتوزيع والصحافة أربعة كتب للأطفـال تحمل العناويـن التالية : الوفـاق ، السـد الكبير ، خف حنيـن ، القـوس المكسور ، وهي عبارة عن مستلات من كتاب التراث العربـــي .

● مجلـة العلـم والتعليــم :

صدر العدد 49 من مجلة العلم والتعليم محتويا على خمس دراسات تحمـل العناوين التاليـــة :

1) الوحدوية ممارسة قبل أن تكون شعـــارا .

2) تعريف بمعهد الدراسات والابحاث للتعريب (فى المغرب) .

3) الحديقة الاسلامية ودور مصمم المواقع فى تطوير المدينة العربية .

4) جسم الانسان من خلال تاريخ الاديـــان .

5) من مواقف « مثقفـي » القرن التاسع عشر ازاء الصراع الاجنبى على تونس .

هذا الى جانب كلمة طريفة تحمل عنوان « نقابة التغريب » بقلم مدير مجلة العلم والتعليم الاستاذ أحمد الشرفـــي .

● **الاسبوع الثقافى الثانى لجامعة الكويت :**

تواصل الاسبوع الثقافى الثانى لجامعة الكويت فى الجامعة التونسيـة من 18 الى 28 جانفى 1981 زاخرا بالتظاهرات الثقافية والندوات واللقـاءات بيـن وفد جامعة الكويت واساتذة وطلبة الجامعة التونسية .

وقـد أقيم حفـل اختتـام الاسبوع بنزل تونس الدولى بالعاصمة حضره بالخصوص سفيـر الكويت بتونس الاستـاذ مجـرن أحمد الحمد وجمع من رجالات الصحافة والثقافة والسلك الدبلماسي وقد ألقـى الدكتـور مساعـد الهارون عميد شؤون الطلبـة الكويتيين كلمة توجه فيهـا بالشكر الى كل من ساهم فى انجاح الاسبوع الثقافى معربا عن ارتياحه للحفاوة التى لقيها الوفد من قبـل المسؤولين التونسييـن وعلـى رأسهـم فخامـة الرئيس الحبيـب بورقيبـة .

واثناء حفل الاختتام الذى تخللته وصلات غنائية فلكلورية كويتية وزعت بعض الهدايا على ممثلى المؤسسات القومية التى ساعدت على تنظيم هذه التظاهرة الثقافية الكويتية بتونس .

● **اطروحة دكتوراه فى جامعة السربـــون :**

قدم بنجاح الطالب التونسى الشاب حمادى بالحاج يوم الاثنين 26 جانفـي 1981 فى جامعة « السربـــون » أطروحة دكتوراه المرحلة الثالثة .

وكان موضوعها « علاقات المجموعة الاوربية الاقتصادية مع بلدان المغرب العربى الكبير تحليلها وآفاقهـــا » .

وقد ترأس لجنة التحكيم استاذ القانون الدولي السيد **مانين** وتركبت اللجنة من السيدين تيتجان الحاكم بالمحكمة الاوربية لحقوق الانسان . ونافيليان مدير مركز البحوث التابع للمجموعة الاوربية .

وتناول الشاب حمادى بالحاج خلال تقديمه العلاقات بين المجموعة الاوربية الاقتصادية وبلدان المغرب العربي ولماذا لم تصل الى المستوى الذى كان من الممكن أن تصل اليه ؟ وكيف كانت اتفاقات سنة 1976 الرابطة بين هذين الطرفين فى أكثر الاحيان اما مخالفة أو متجاوزة أو غير كافية .

● جريدة « الصبــاح » فى عيد ميلادها الثلاثين :

احتفلت جريدة « الصبــاح » الغراء يوم الاحد 1 فيفرى 1981 بعيد ميلادها الثلاثين . « ثلاثون سنة فى خدمة الاعلام ونهضة الصحافة بتونس » .

ويسر أسرة تحرير مجلة « الفكـر » أن تتقدم لزميلتها « الصباح » فى هذه المناسبة الهامة بأصدق التحيات وأجمل التمنيات راجية الله أن يكلل جهود رجالاتها وأسرة تحريرها بالتوفيق خدمة للاعلام النزيه والثقافة ببلادنا « وكل عام والصباح بخير » .

ولا يسعنا الا أن نردد مع الشاعر محمد الشعبوني قولــه :

يـا شاعـرا مـلأ الحيـاة صـداحـا — وسـرى نشيـدك ينعـش الارواحـا
هـل فى وطابـك « للصباح » تحية — فالعيـد اقبـل يحـمـل الافـراحـا
ان الثـلاثيـن ازدهـت بشمـوعهـا — (والشمس أولى « بالصباح » وشاحا)
(والشمس أولى .. فالشموع وان يطل — تنويرهـا .. تبقى تخـاف ريـاحا)
(والشمس تجـلى بالريـاح غيـومهـا — فالشمس تصنع ـ لا الشمـوع صباحا

● مجلة قصص فى عددها الخمسين :

صـدر العدد الخمسون من مجلـة « قصص » التى تصدر عن نادى القصـة أبى القاسم الشابى . مرة كل ثلاثة أشهـر :

وقد صدرت المجلة عددها هـذا بكلمة تناولت فيها نضال مجلة « الفكـر » مبرزة أهميتها الادبيـة اذ أن صدورهـا لمدة ربع قرن دون تخلف عن غرة كل شهر يعد ظاهرة فريدة من نوعها فى دنيـا الدوريات التونسية لا سيمـا المجلات الادبية منها وبالخصوص تلك التى تقوم على جهود أفراد لا مؤسسات .

كما تكلمت افتتاحيـة العدد عـن جهود مجلة « الفكـر » فى خدمـة الميدان القصصى ومواكبتها لمختلف الاتجاهات وتشجيعها لجميع التيارات القصصيـة وأخذها بيد المواهب الشابة وافساح المجال لهـــا .

كمـا افردت مجلة قصص فى هذا العدد ركنا أحصت فيـه كل ما صدر فـى تونس من أقاصيص ونشر فى مختلف الصحف والمجلات أو ضمن المجموعـات القصصية . كما احصت القصص المترجمة .

هذا الى جانـب المشاركات العديدة لاقلام قصصيـة مختلفـة مـن تـونس وخـارجهـا .

● **الاديب أحمد القديدى يعين مديرا لجريدة « العمل » :**

الاديب أحمد القديدى أحد أعضاء أسرة مجلة « الفكر » يعين مديـرا لجريدة « العمـــل » .

نهنىء زميلنا أحمد القديدى على خطته الجديدة . ونرجو له التوفيق للنهوض بالاعلام الوطنى والعمل الثقافى ببلادنا . وللسير بجريدة العمل قدما لتتطور شكلا ومضمونا .

● **ملتقـى الشقيف الشعــرى :**

أقيم ببيروت وصيدا فى الذكرى السادسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ملتقـى الشقيف الشعرى : والشقيف هو اسم القلعة الشهيـرة التى تقع فـى جنوب لبنان والتى شهدت جولات عديدة لبطولات المقاومة الفلسطينية المسلحة فى وجه الاحتلال الصهيونـــى .

والملتقى هذا كان مهرجانا شعريا هاما شارك فيه جمـع مـن الشعـراء العـرب ولئن تعددت الاصـوات والاتجاهـات الشعريـة فالفجيعـة كـانت واحدة وكان واحدا ذلك الشعور بأن فى قلب الرماد الساخن مكـان ما لجذوه من نــــار .

● **قمـة مكـة الاسلاميـــة :**

شارك فى ندوة القمة الاسلامية 39 بلدا عربيـا واسلاميا من مختلف القارات وقد حضر فى ندوة القمـة الاسلاميـة وفد تونس برئاسة الاستاذ محمد مزالى الوزير اجول يصحبه الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية والاستاذ المنجى الكعلى الوزير المعتمد لدى الوزير الاول والاستاذ حســان بلخوجة وزير الخارجيــة .

وقد انطلقت عشية يوم الاحد 19 ربيع الانور 1401 الموافق ليوم 25 جانفى 1981 فى رحاب الكعبة الشريفة أعمال قمة مكة للدول الاسلامية التـى تسجل صحوة المسلمين وانطلاقتهم لصنع المصير الافضل والغد المشرق . والله الموفق .

● قم حي الفكر الابر :

تحت هذا العنوان راسلنا السيد المنصف بن فرج من باريس بقصيد نظمه بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضي لمجلة « الفكر » ننشره شاكرين له عواطفه النبيلة نحو مجلة الفكر .

قم حي الفكر الابر   في يوم ذكراه الأغر
حي السنين الحافلا   ت الخاليات من الهدر
حي الرجال العاملين   السائرين على الأثر
الشارعي الاقلام في وجه   الحماقة والبطر
والباذلي الارواح ما   يخشون عاقبة الخطر
ان كان في البذل الربا   ح وكان في البذل الظفر
ساروا على سنن الجدود   فلا غلو ولا أثر

* * *

إني لاحمدهم على   ما بان منهم واستتر
وأقول : ماذا كان   لوما أتى هذا النفر ؟
وأقام صرح العلم   والأدب الرفيع وما افتخر
البدو في فلواتهم   لهجوا بذلك والحضر
لكنه مجد الجهاد   فانه نعم الوطر
لا بالسرور ننال مجدا   في الحياة ولا الكدر

* * *

سيروا على اسم الله طاب   الورد منكم والصدر
سيروا فانتم ملء هذا   السمع منا والبصر
قدر دعاكم للجهاد   فلبت الهمم القدر
يا بارك الله الجهاد   وبارك النفر الابر

ننشر في العدد القادم

دراسة بعنوان : « **الفلسفة الجديدة في فرنسا** » عرض وتقديم : **الشاذلي الساكر .**
